دور بني سهل السياسي

في خلافتي الأمين والمأمون

تأليف

أ.د/ حجازي حسن علي طراوة

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة المساعد

في كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر الشريف

الناشر

مكتبة زهراء الشرق

١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة

تليفاكس : ٠٠٢٠٢/٢٣٩١٣٣٥٤

إهـــــــداء ٢٠٠٩
زهراء الشرق
جمهورية مصر العربية

دور بني سهل السياسي
في خلافتي الأمين والمأمون

تأليف

أ.د/ حجازي حسن علي طراوة

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة المساعد
في كلية اللغة العربية - جامعة الأزهر الشريف

الناشر
مكتبة زهراء الشرق



١١٦ شارع محمد فريد - القاهرة
تليفاكس: ٢٣٩١٣٣٥٤ (٠٠٢٠٢)

بطاقة فهرسة
فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب المصرية
إدارة الشئون الفنية

طراوة ، حجازي حسن علي
دور بني سهل السياسي في خلافتي
الأمين والمأمون / تأليف حجازي حسن علي
طراوة . - القاهرة : زهراء الشرق
١٣٦ ص ؛ سم
تدمك X ٣١٨ ٣١٤ ٩٧٧
٩٥٣,٠٣
١- الدولة الأموية (٦٦١ م - ٧٥٠م)
أ - العنوان

اسم الكتاب : دور بني سهل السياسي في خلافتي الأمين والمأمون
تأليف : الدكتور / حجازي حسن علي طراوة
رقم الطبعة : الأولى
السنة : ٢٠٠٧
رقم الإيداع : ٢٠٨٦٩
الترقيم الدولي : I.S.B.N
977-314-318-X
اسم الناشر : زهراء الشرق
العنوان : ١١٦ شارع محمد فريد
البلد : جمهورية مصر العربية
المحافظة : القاهرة
التليفون : ٠٠٢٠٢٢٣٩١٣٨٥٩
فاكس : ٠٠٢٠٢٢٣٩١٣٣٥٤
المحمول : ٠٠٢٠١٢٣١٧٧٥١٠


بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين سيدنا محمد النبي الأمين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد ..

فقد برز في العصر العباسي الأول بعض الأسر التي أسهمت في التمكين للدولة، وتثبيت أركانها، وتنظيم أمورها، ومن هذه الأسر «بنو سهل»، الذين تركوا بصماتهم على صفحات الحياة السياسية في فترة خلافتي: الأمين والمأمون، وكان لهم من النفوذ ما جعل بعضهم يُسيّر الأمور في الدولة كما لو كان خليفة، ولكن حظهم من الذكر لدي المؤرخين والباحثين لم يكن بالقدر الذي يجلو أعمالهم.

لذا أردت في هذا البحث أن ألقي الضوء على الدور السياسي الذي قام به زعماء هذه الأسرة في تلك الفترة المذكورة، مبينًا مدى تأثيرهم على مجرى الأحداث في الدولة الإسلامية. ،

وقد قسمت هذا البحث إلى مقدمة، وثلاثة مباحث، وخاتمة.

ففي المقدمة شرحت أسباب اختياري لهذا الموضوع، وأهمية الكتابة فيه.

أما البحث الأول وعنوانه: «ظهور بني سهل على مسرح الأحداث في الدولة العباسية» فقد بدأته بالحديث عن أصل بني سهل واعتناقهم الإسلام ودخولهم في خدمة البرامكة، ثم في خدمة المأمون، مع ذكر نبذة موجزة عن سيرة أبرز زعماء هذه الأسرة، مبينًا مدى تأثيرهم على مجرى الأحداث في الدولة الإسلامية حتى خلافة المأمون.

وأما المبحث الثاني فقد جعلته بعنوان: «دور بني سهل في النزاع بين الأمين والمأمون»، وفيه تحدثت أولاً عن البيعة بولاية العهد وأثرها في النزاع بين الأمين والمأمون، ثم تحدثت عن ولاية المأمون على خراسان ودور بني سهل في تدبير أموره فيها، وختمت هذا الفصل بالحديث عن الصراع بين الأمين والمأمون ودور بني سهل في انتصار المأمون.

وأما المبحث الثالث وعنوانه: «ازدياد نفوذ بني سهل في خلافة المأمون» فقد تحدثت فيه عن سيطرة الفضل بن سهل على أمور الدولة في خلافة المأمون، وما ترتب على ذلك من قيام الثورات في مختلف أرجاء الدولة الإسلامية، ثم تحدثت بعد ذلك عن بيعة المأمون لعلي الرضا بالخلافة، مبيّنًا كيف تمت هذه البيعة، والظروف والملابسات التي أحاطت بها، والدوافع التي جعلت الخليفة المأمون يُقدم عليها، ودور بني سهل في تلك البيعة، مع استعراض آراء المؤرخين والباحثين في ذلك، وترجيح الرأي المختار، كما تحدثت في هذا المبحث عن الموقف في بغداد بعد تلك البيعة، وما ترتب على ذلك من مغادرة المأمون مرو إلى بغداد وتخلصه من الفضل بن سهل، وعلي الرضا، مناقشًا آراء المؤرخين القدامى والباحثين المحدثين حول هذين الحدثين الخطيرين، مع توضيح رأي الباحث مدعومًا بالأدلة.

وختمت هذا المبحث بالحديث عن وزارة الحسن بن سهل للخليفة المأمون ودوره في مجرى الأحداث السياسة حتى عزلة عن الوزارة سنة ٢٠٤هـ، وقطع المأمون صلته ببني سهل.

وفي خلال هذه المباحث الثلاثة ما مررت بمدينة ولا علم إلا وعرفت بكل ذلك بقدر المستطاع.

أما الخاتمة فقد أتيت فيها بخلاصة لما تضمنه البحث، مع الإشارة إلى أهـم الحقائق والنتائج التي توصلت إليها، وبعد ذلك أتيت بثلاثة ملاحق، ثم بقائمة لأهم المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها، وفي النهاية جئت بفهرست لموضـوعات البحث.

وقد بذلت في هذه الدراسة ما وسعني الجهد والطاقة، والله أسأل أن يوفقني لما يحبه ويرضاه في الدنيا والآخرة، وأن يجعل عملي هذا خالصًا لوجهه الكريم، وصل الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، والحمد لله رب العالمين.

د. حجازي حسن طراوة

أستاذ التاريخ الإسلامي والحضارة المساعد

بجامعة الأزهر

المبحث الأول

ظهور بني سهل على مسرح الأحداث

ينحدر بنو سهل من سلالة ملوك الفرس الذين كانوا يدينون بالمجوسية[١]، وقد اختلف المؤرخون في تحديد زمن اتصالهم بالدولة العباسية:

فيذكر ابن العبري[٢] أن اتصالهم بتلك الدولة كان في زمن الخليفة أبي جعفر المنصور[٣] حيث قدم عليه جدهم خرشاذماه، وطيمازاه، ومابازار، خروبلمشار،

(١) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٢٩ – ٢٣٠، تحقيق مصطفى السقا وآخرين، الطبعة الثانية، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده – مصر ١٤٠١هـ– ١٩٨٠م.

(٢) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص٢١٦، دار المسيرة – بيروت – لبنان (د. ت.).

(٣) هو عبد الله بن محمد بن علي، أمير المؤمنين، أمه سلامة البربرية، ولد سنة ٩٥هـ «الحميمة» بالشام، وكان حافظًا لكتاب الله تعالى، متبعًا لآثار رسول الله ﷺ، فقيهًا، محدثًا، كاتبًا بليغًا، ولي الخلافة بعهد من أخيه أبي العباس السفاح سنة ١٣٦هـ، ويعتبر المنصور أول من قرب المنجمين، وترجمت له الكتب، وأسس مدينة بغداد سنة ١٥٨هـ.

المسعودي: التنبيه والأشراف ص٢٩٥ – ٢٩٦، تحقيق: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي للطباعة والنشر والتأليف – القاهرة (د. ت.)، والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٠ ص٥٥ – ٦١، تحقيق د. عبد القادر عطا، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية – بيروت ١٤١٧هـ – ١٩٩٧م، والمقريزي: السلوك لمعرفة دول الملوك، ق١ مجلد١ ص١٥، تحقيق: د. مصطفى زيادة، مطبعة دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٣٤م، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٠٧ – ٢١٧، راجعه وعلق عليه: جمال محمود مصطفى، دار الفجر للتراث – القاهرة (د. ت.).

وطلب منه الخليفة المنصور أن يختار له كنية أخرى فاختار «أبا سهل».

بينما يذكر الجهشياري(١) أن اتصالهم بالدولة العباسية كان في زمن الخليفة هارون الرشيد(٢) حيث أن يزيد بن زاذا نقروح – عم الفضل بن سهل – من قرية السِّيب(٣) توكل بجارية لعاصم بن صبيح – مولى داود بن علي(٤) – وكان ليزيد

---

(١) الجهشياري: مصدر سبق ذكره ص٢٣١.

(٢) هارون الرشيد بن محمد المهدي، يكنى بأبي جعفر، ولد بالري سنة ١٤٩هـ، وقيل سنة ١٥٠هـ، وأمه الخيزران أم ولد، استخلف بعد أخيه الهادي سنة ١٧٠هـ، بعهد من أبيه، وكان يقتفي أخلاق أبي جعفر المنصور ويعمل بها إلا في العطايا والجوائز فإنه كان سخيًّا كريمًا، وكان يحب الفقه والفقهاء، ويميل إلى العلماء، ويحب الشعراء، ويعظم في صدره الأدب والأدباء، توفي في جمادى الآخرة سنة ١٩٣هـ. لمزيد من التفصيل انظر: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ٤ ص٦، ١٣، والذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٩ ص٢٨٦ – ٢٩٥، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، الطبعة الحادية عشرة، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤١٧هـ-١٩٩٦م، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص٣٤٠ وما بعدها.

(٣) السيب – بكسر أوله، وسكون ثانية: كورة من سواد الكوفة عند قصر ابن هبيرة، ينسب إليها أحمد بن محمد السيبي، والسيب – أيضًا –: نهر بالبصرة فيه قرية كبيرة، وقيل: هو موضع أو جزيرة بخوارزم في ناحيتها السفلى، والأولى هي المقصودة هنا. ياقوت الحوي: معجم البلدان جـ٣ ص٢٩٣ دار صادر – بيروت.

(٤) أبو سليمان – داود بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب – أمير من بني هاشم، وهو عم الخليفة أبي العباس السفاح، كان خطيبًا فصيحًا، من كبار القائمين بالثورة على بني أمية، وكان بالحميمة، ولما ظهر العباسيون ولاه السفاح إمارة الكوفة ثم عزله عنها، وولاه إمارة المدينة، ومكة، واليمامة، والطائف، فانصرف إلى الحجاز، وأقام في المدينة فعاجلته منيته، وهو أول من ولى المدينة من بني العباس، توفي في ربيع الأول سنة ١٣٣هـ. راجع سيرته عند: الذهبي:=

ولأهله بـ «السِيّب» ضيعة وبيت، فأحسن القيام بها، وبما توكَّل فيه، وكثر ماله، وحظي عند صاحبته حظوة شديدة، فحقد عليه عاصم ودبر لقتله، ووكل بضيعته ومنزله فذهب أخوه سهل بن زاذ انفروح إلى باب يحيى بن خالد البرمكي[1] متظلمًا من عاصم بن صبيح في مر ضيعته ومنزله، ومطالبًا بدم أخيه، وكان ذلك بواسطة سلام بن الفرج – مولى يحيى بن خالد الذي أسلم سهل على يده –

= ميزان الاعتدال جـ٢ ص٢٠٣ – ٢٠٤، تحقيق: محمد علي البجاوي وغيره، دار الفكر العربي – القاهرة (د. ت.)، والفاسي: العقد الثمين جـ٤ ص٣٤٩، تحقيق: محمد حامد الفقهي وآخرين، الطبعة الثانية، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٤٠٦هـ – ١٩٨٦م، والزركلي: الأعلام جـ٢ ص٣٣٣، ط١٢، دار العلم للملايين – بيروت – لبنان ١٩٩٧م.

(١) يحيى بن خالد بن برمك، أبو علي الوزير، من رجال الدهر حزمًا، ورأيًا وسياسة، وعقلاً وحذقًا بتصريف الأمور، ضمَّه الخليفة المهدي إلى ابنه هارون الرشيد ليربيه، ويفقهه في الدين ويدربه على أمور الحكم والسياسة، فلما استخلف الرشيد قدره، ونوه باسمه، وكان يخاطبه «يا أبت»، ورد إليه مقاليد الوزارة، ودفع إليه خاتمه، فكان يحيى أول من أُمّر من الوزراء، وكان كريمًا فصيحًا، وكان الرشيد يبالغ في تعظيمه إلى الغاية إلى أن قتل ولده جعفر بن يحيى، فسجنه ومات يحيى في سجنه سنة ١٩٠هـ. انظر: الجهشياري: الوزراء والكتاب ص١٧٧ وما بعدها، والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٤ ص١٣٣ – ١٣٦، وابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٦ ص٢٢١ – ٢٢٩، دار صادر – بيروت ١٣٩٧هـ – ١٩٧٧م، والذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٩ ص٨٩ – ٩١، وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ جـ١٠ ص٢٢٠ – ٢٢٢، ط٥، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، دار الحديث – القاهرة.

فأنصفه يحيى ورد إليه ضيعته، ومنزله، وأدخل أبناءه في خدمة البرامكة[1].

وقد برز من أسرة بني سهل في فترة هذا البحث رجلان هما: الفضل بن سهل، وأخوه الحسن.

أما الفضل فقد اشتُهِر بسعة الحيلة، وشدة الدهاء، وقد توسم فيه يحيى بن خالد البرمكي النجابة، وحدة الذكاء، مما جعله يعرض عليه الدخول في الإسلام ليقلده بعض الأمور، فرحب الفضل بن سهل بذلك، وعرض على يحيى أن يُسْلم على يديه، لكن يحيى كان يحرص على أن يكون إسلام الفضل بن سهل على يد

---

(١) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٣٠. والبرامكة أسرة فارسية عريقة، وكلمة «برامكة» مشتقة من كلمة «برمك»، وهي ليست اسمًا لشخص، وإنما هي لقب أطلق على سادن أو كاهن للمعبد المجوسي في مدينة «بلخ» والذي يسمى «النوبهار»، وهو بيت النار التي كانت المجوس تعبدها، كان جدهم برمك وأسرته يدينون بالمجوسية – دين الفرس القديم –، وأسلم بعضهم وظهر منهم في أوائل الدولة العباسية خالد بن برمك الذي تقلد الوزارة في عهدي: السفاح والمنصور، واتخذ هارون الرشيد يحيى بن خالد كاتبًا له ومدبرًا لشئونه قبل خلافته، وبعد أن ولي الرشيد الخلافة أصبح يحيى وزيرًا مفوضًا له، وقد استعان الرشيد بأولاد يحيى في مهام الأمور، وشئون الولايات، وهم: الفضل، وجعفر، وموسى، ومحمد، وقد ظل يحيى وأولاده في خدمة الدولة العباسية حتى تخلص الرشيد منهم في شهر المحرم سنة ١٨٧هـ خوفًا من سطوتهم واستبدادهم بالدولة. لمزيد من التفاصيل عن هذه الأسرة، انظر: ابن قتيبة: المعارف ص٣٨٢ وما بعدها، تحقيق: ثروت عكاشة، ط٢، دار المعارف – القاهرة ١٩٦٩م، والطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٢٦١، ٢٧٧– ٢٨٧، ٣٠٢، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط٢، بيروت – لبنان ١٩٦٧م، والجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٣٣ – ٢٥٨، وابن خلكان، وفيات الأعيان جـ٤ ص٢٧ – ٣٦، جـ٦ ص٢١٩ – ٢٢٢.

المأمون[١]، فأرسله إلى ابنه جعفر[٢] ليدخله على المأمون، ففعل وأسلم الفضل على يديه، وقد وصله المأمون، وأحسن إليه، وأجرى عليه الأرزاق[٣].

ويذكر بعض المؤرخين[٤] أن جعفر بن يحيى لما عزم على الاستعانة

---

(١) عبد الله المأمون بن هارون الرشيد، ولد سنة ١٧٠هـ في اليوم الذي تولى فيه أبو الخلافة، وولي الخلافة سنة ١٩٨هـ، وكان له اشتغال بالعلوم والفلسفة مما دعاه إلى القول بخلق القرآن الكريم، توفي بمدينة طوس سنة ٢١٨هـ. وانظر ترجمته عند: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٠ ص١٨٣ – ١٩٣، وابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٤٣١ – ٤٣٩، دار صادر – بيروت ١٤٠٢هـ – ١٩٨٢، وابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص٢٩٨ – ٣٠٥، والزركلي: الأعلام جـ٤ ص١٤٢.

(٢) أبو الفضل، جعفر بن يحيى بن خالد البرامكي، ولد سنة ١٥٠هـ في بغداد ونشأ بها، وكان أحد مشهوري البرامكة، ومتمكنًا عند الخليفة الرشيد حتى أنه كان يناديه «يا أخي»، ثم انقلب عليه وقتله سنة ١٨٧هـ، وكان جعفر هذا من المشهورين بالبلاغة والفصاحة والكرم، وكان كاتبًا بليغًا لمزيد من التفصيل عن سيرته. انظر: الخطيب البغدادي تاريخ بغداد جـ٧ ص١٥٢ – ١٦٠، وابن خلكان: وفيات الأعيان جـ١ ص٣٢٨ – ٣٤٦، وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ جـ١٠ ص٢٠٩ – ٢١٣، وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب جـ١ ص٣١١ – ٣١٤، الطبعة الثانية، دار المسيرة – بيروت ١٩٧٩م، والزركلي: الأعلام جـ٢ ص١٣٠.

(٣) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٣٠ – ٢٣١.

(٤) الجهشياري: نفس المصدر السابق ص٢٣١، وابن خلكان: وفيات الأعيان جـ١ ص٥٢٢.

بالفضل بن سهل ليكون في خدمة المأمون قرّظه[١] يحيى بن خالد بحضرة الخليفة هارون الرشيد، فقال له الرشيد: أوصله إليَّ، فلما وصل إليه أدركته حيرة فسكت، فنظر الرشيد إلى يحيى بن خالد نظرة منكر لاختياره، فقال له الفضل بن سهل: يا أمير المؤمنين إن أعدل الشواهد على فراهة الملوك أن يملك قلبه هيبة سيده، فقال له الرشيد: لئن كنت سكت لتصوغ هذا الكلام فلقد أحسنت، وإن كان بديهة إنه لأحسن، وأحسن ولم يسأله بعد ذلك عن شيء إلا أجابه بما يصدق وصف يحيى بن خالد له[٢].

وقد ظل الفضل بن سهل ملازمًا لخدمة البرامكة حتى نكبتهم[٣]، فلزم جانب المأمون حين عرف أن الخلافة ستؤول إليه، وقام بتدبير بعض أموره[٤].

وكان الفضل ذا أطماع كبيرة لا تقل عما عرف عن البرامكة، فعوّل منذ اتصاله بالمأمون على تعرف سياسته إذا ما آلت إليه الخلافة ليتيسَّر له بذلك

---

(١) قرّظه: التقريظ، مدح الإنسان وهي حي، والتأبين: مدحه ميتًا، وقرّظ الرجل تقريظًا: مدحه، وأثنى عليه، وقولهم «فلان يقرّظ صاحبه تقريظًا – بالظاء والضاض – إذا مدحه بباطل أو حق». ابن منظور: لسان العرب مجلد ٥ ص٣٥٩٤، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، طبعة دار المعارف (د. ت.).

(٢) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٣١.

(٣) اختلف المؤرخون في أسباب نكبة البرامكة، فمنهم من يرجعها إلى أسباب سياسية، وبعضهم يرجعها إلى أسباب دينية، والبعض الآخر يرجعها إلى أسباب شخصية. راجع أحداث هذه النكبة في: الطبري: تاريخ الأمم والملوك حوادث سنة ١٨٧هـ جـ٨ ص٢٨٧ – ٣٠٣.

(٤) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٣١ – ٢٧٩.

تحديد موقفه نحوه[١]، واتخاذ الخطة التي تمهد له الاستئثار بالسلطة دون المأمون، كما حرص على عدم إفلات الخلافة من المأمون، وعاونه في سبيل ذلك معاونة صادقة لعله يصل من وراء ذلك إلى حظ كبير من السلطان[٢].

فوقف إلى جانب المأمون أثناء النزاع بينه وبين أخيه الأمين[٣]، وشجعه على البقاء في خراسان[٤] بين أهله وعشيرته، مؤكدًا له نجاحه في الوصول إلى

---

(١) نفس المصدر السابق ص٢٧٩.

(٢) د. محمد جمال الدين سالم: الحياة السياسية في الدول العربية الإسلامية ص٢٢٢، الطبعة الخامسة، دار الفكر العربي ١٩٧٥م.

(٣) هو محمد بن هارون الرشيد بن المهدي، ولد في رصافة بغداد سنة ١٧٠هـ، وكان من أحسن الشباب صورة، أبيضًا، طويلاً، جميلاً، ذا قوة مفرطة، وبطش، وشجاعة معروفة، وله فصاحة وبلاغة وأدب وفضيلة، وكان مكثرًا من إنفاقه الأموال، كان ولي عهد أبيه، فولي الخلافة بعده سنة ١٩٣هـ، وظل في الخلافة حتى في المحرم سنة ١٩٨هـ وله سبع وعشرون سنة. انظر ترجمة الأمين عند: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ٣ ص٣٣٦ – ٣٤٢، وابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات جـ٤ ص٤٦ – ٤٨، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت ١٩٧٣م، وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ جـ١٠ ص٢٦٣ – ٢٦٥، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٣٧ – ٢٤٤، والزركلي: الأعلام جـ٧ ص١٢٧.

(٤) خراسان: كلمة مركبة من «خرا» بمعنى شمس، و «سان» بمعنى مشرق، وهي بلاد قديمة واسعة في آسيا، أول حدودها مما يلي العراق، وآخر حدودها مما يلي الهند، وتشتمل على أمهات من البلاد، منها: نيسابور، وهراة، ومرو، وبلخ، وغيرها، وقد حشد فيها القائد أبو مسلم الخراساني ودعاة العباسيين الجيوش التي قضت على الخلافة الأموية في الشرق. ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ٢ ص٣٥.

الخلافة، وكان يسدي النصح إليه كلما حز به أمر أو تضعضعت ثقته بنفسه[1].

وعندما اشتد الصراع بين الأخوين – الأمين والمأمون – واشتعلت الحرب بينهما، وتمرد الجيش على المأمون طالبًا أرزاقه، أخذ الفضل بن سهل يشجع المأمون الذي كان قد أراد الهروب، فأغلق الأبواب حتى لا يدخل عليه أحد، ثم طلب منه أن يصعد إلى المجلس الذي يشرف منه على الجند، وأخذ يقبل يديه، ورجليه حتى لا يهرب، قائلاً له: «فوالله ما تنزل إلا خليفة»[2].

وكان لموقفه هذا أثر كبير في انتصار المأمون على أخيه الأمين، مما زاد من نفوذه وسيطرته على أمور الدولة جميعها – كما سيتضح في الصفحات التالية من هذا البحث إن شاء الله –.

وقد وصفت الروايات التاريخية الفضل بن سهل بأنه كان حازمًا، عاقلاً، فصيحًا، اشتهر بعلمه وكرمه، وكان سخيًا يجاري البرامكة في جوده، ولكنه كان شديد العقوبة إذا عاقب، حسن الرجوع إذا استعطف، وكان حليمًا بليغًا عالمًا بآداب الملوك، بصيرًا، جيد الحدس، محصّلاً للأموال، كريم العهد، وفيَّ الوعد، بليغ اللسان، عالي البيان، مهزارًا، مكثارًا، يشير بيده إذا تكلم، ويحب أن يتصل كلامه، وكان يأخذ اللقمة بيده، ويبدأ بالكلام فلا يقطعه حتى تبرد، وكان إذا سأله أحد حاجة يقول: «أكره أن أقول: نعم، فأكون ضامنًا، أو أقول: لا، فأكون مؤيسًا

---

(١) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٧٨ وما بعدها.

(٢) التنوخي: الفرج بعد الشدة جـ٢ ص٨، تحقيق: عبود الشالحي، دار صادر – بيروت ١٣٩٣هـ.

ولكن ننظر ويسهل الله»، ولا ينصرف من عنده أحد إلا وهو راض[١].

وكان الفضل بن سهل يتشيع، وله دراية بعلم النجوم، ومما يؤيد ذلك ما ذكره أبو الحسين علي بن أحمد السلامي في «تاريخ ولاة خراسان» أن المأمون لما عزم على إرسال طاهر بن الحسين[٢] إلى محاربة أخيه محمد الأمين، نظر الفضل بن سهل في مسألته فوجد الدليل في وسط السماء، وكان ذا يمينين، فأخبر المأمون بأن طاهرًا يظفر بالأمين، ويلقب بـ «ذي اليمينين»، فتعجب المأمون بعد إصابة الفضل، ولَقَّب طاهرًا بذلك[٣].

---

(١) الجاحظ: البيان والتبيين جـ١ ص١٠٣، تحقيق: فوزي عطيوي، شركة الكتاب اللبناني – بيروت ١٩٦٨م، الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٣٠٧، ٣٠٨، والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ٢ ص٣٤٠، والزركلي: الأعلام جـ٥ ص٣٥٤، ود. أحمد فريد الرفاعي: عصر المأمون جـ١ ص١١٧، دار الكتب المصرية ١٣٤٦هـ، ومحمد شريف: الصراع بين العرب والموالي ص١٤٨، دار الكتاب العربي ١٩٥٤م.

(٢) طاهر بن الحسين بن مصعب بن رزيق، أبو طلحة الخزاعي، ولد سنة ١٥٩هـ، روى عبد الله بن المبارك، وعن عمه علي بن مصعب، وعن ابن عبد الله، وكان شجاعًا، عالمًا، خطيبًا، مفوّهًا، بليغًا، شاعرًا، بلغ أعلى الرتب، كان أحد قواد المأمون، ولاه قتال أخيه الأمين ولقبه «ذا اليمينين»، وبعد أن صارت الخلافة إلى المأمون ولاه خراسان وما يليها، وكانت وفاته في جمادى الآخرة سنة ٢٠٧هـ. والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ٩ ص٣٥٨ – ٣٦٠، وابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٤ ص٥١٧، ٥٢٢، والذهبي: سير أعلام النبلاء جـ١٠ ص١٠٨ – ١٠٩، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٢ ص١٨٤، طبعة مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية – القاهرة (د. ت.).

(٣) والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٢ ص٣٣٩ – ٣٤٣.

وسوف يظهر بوضوح دور الفضل بن سهل في النزاع بين الأمين والمأمون، وفي فترة خلافة المأمون من خلال الصفحات التالية من هذا البحث – بمشيئة الله تعالى –.

أما الرجل الثاني من أسرة بني سهل فهو الحسن بن سهل – شقيق الفضل الذي سبق الحديث عنه –، وقد بدأ الحسن يظهر على مسرح الأحداث في الدولة العباسية منذ أن أحضره أبوه سهل ومعه أخوه الفضل إلى مجلس يحيى بن خالد البرمكي ليكونا في خدمة هذه الأسرة، وقد اتصل الفضل بن سهل بالفضل بن يحيى(١)، وتقلد قهرمته(٢)، واتصل الحسن بن سهل بجعفر بن يحيى وتولى قهرمته(٣).

---

(١) الفضل بين يحيى بن خالد البرامكي، وزير الرشيد العباسي وأخوه في الرضاع، كان من أجود الناس، استوزره الخليفة الرشيد مدة قصيرة، ثم ولاه خراسان سنة ١٧٨هـ فحسنت فيها سيرته، وأقام بها إلى أن فتك الرشيد بالبرامكة سنة ١٨٧هـ، وكان الفضل عنده ببغداد، فقبض عليه وعلى أبيه يحيى، وأخذهما معه إلى الرقة، فسجنهما وأجرى عليهما الرزق، واستصفى أموالهما وأموال البرامكة كافة، وتوفي الفضل في سجنه بالرقة سنة ١٩٣هـ، وقال عنه ابن الأثير: «كان الفضل من محاسن الناس، لم يُر في العالم مثله».
والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٢ ص٣٣٤، وابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٦٩، وابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٤ ص٢٧ – ٣٦.

(٢) القهرمان: هو المسيطر الحافظ على من تحت يديه، وهو لفظ فارسي معرب لتُرجُمان وتَرْجُمان، والقهرمان: من أمناء الملك وخاصته، وفي الحديث: كتب إلى قهرمانه، هو كالخازن والوكيل والحافظ لما تحت يده، والقائم بأمور الرجل بلغة الفرس. ابن منظور: لسان العرب، مجلد ٥ ص٣٧٦٤.

(٣) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٣٠.

وبعد نكبة البرامكة أخذ الحسن بن سهل جانب المأمون ولازمه في خراسان أثناء ولاية المأمون عليها، وعمل مع أخيه الفضل على تدبير أمور المأمون فيها[١].

وبعد وفاة الرشيد بدأ النزاع بين الأمين والمأمون، فوقف الحسن إلى جانب المأمون، وعضده ضد أخيه الأمين، وعمل على إشعال الفتنة بينهما، فعندما استقر الأمر للأمين، كتب إلى المأمون يسأله التخلّي عن بعض الأعمال بخراسان، وأن يُعيّنَ له رجل بريد في خراسان ليكاتبه بأخباره، فشق ذلك على المأمون، وجمع خاصته من الرؤساء والقواد، وشاورهم في هذا الأمر، فأشاروا عليه جميعًا بإجابة الأمين إلى ما سأل، ما عدا الحسن بن سهل الذي قال لهم: «هل تعلمون أن محمدًا الأمين تجاوز إلى طلب ما ليس له بحق؟ قالوا: نعم، ونحتمل ذلك لما نخاف من ضرر منْعه، قال: وهل تثقون بكفّه بعد إعطائه وألاّ يتجاوز بالطلب إلى غيره؟ قالوا: لا، ولكنا نرجو السلامة، قال: فإن تجاوز إلى مسألة أخرى أليس قد تعجلنا الوهن بما أعطيناه؟، ووافق الفضل بن سهل الحسن في ذلك الرأي، فقال في كلام طويل: «ليس النصر بالكثرة والقلة، وجرح الموت أيسر من جرح الضيم والذل، فقال المأمون: «بإيثار حب الدعة صار من صار إلى فساد العاقبة في أمر دنياه وآخرته» وكتب بمنعه من ذلك وبدفعه عنه[٢].

ومن هذا الحوار يتبين لنا مدى تأثير بني سهل على تصرفات المأمون، وكيف أنهم كانوا يسعون منذ البداية إلى إشعال نار الفتنة بين الأخوين.

وقد ظلَّ الحسن بن سهل مناصحًا للمأمون يقوّي من عزيمته، ويشد من

---

(١) المصدر السابق نفسه ص٢٧٩.

(٢) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٨٩ – ٢٩٠.

أزره حتى تحقق له النصر على أخيه الأمين، وآلت إليه الخلافة، كما كان له دور كبير في الأحداث السياسية التي وقعت في فترة خلافة المأمون، وسوف أوضح ذلك بالتفصيل من خلال صفحات هذا البحث – إن شاء الله –.

وقد اشتهر الحسن بن سهل بالذكاء المفرط، والفصاحة والكرم، والأدب، وحسن التوقيعات، كما وصفه المؤرخون بأنه كان عالي الهمة، كثير العطاء للشعراء وغيرهم، فقد قصده أحد الشعراء وأنشده:

تقول خليلتي لما رأتني
أشد مطيتي من بعد حل
أبعد الفضل ترتحل المطايا؟
فقلت نعم إلى الحسن بن سهل

فأجزل الحسن بن سهل عطيته[1].

(١) راجع سيرة الحسن بن سهل عند: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ٧ ص٣١٩ – ٣٢٣، وابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٢ ص١٢٠ – ١٢٣، وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ جـ١٠ ص٣٤١، والزركلي: الأعلام: جـ٢ ص١٩٢.

المبحث الثاني

دور بني سهل في النزاع بين الأمين والمأمون

أولاً: البيعة بولاية العهد..

وأثرها في النزاع بين الأمين والمأمون:

كانت البيعة بولاية العهد لاثنين على التعاقب من أهم العوامل فيما أصاب بني أمية من التفرق والانقسام، ومع هذا فقد جاراهم العباسيون في ذلك، حيث بايع الخليفة العباسي الأول أبو العباس السفاح[1] لأخيه أبي جعفر المنصور، ثم لابن أخيه عيسى بن موسى[2]، وبايع الخليفة

---

(١) هو عبد الله بن محمد بن علي بن عبد الله بن عباس، الملقب بـ «السفاح»، ولد سنة ١٠٥هـ بـ «الشراة» من أرض الشام، وبويع له بالخلافة سنة ١٣٢هـ بالكوفة.
وكان كريمًا، جوادًا بالمال، حسن الأخلاق، نقل مقر الخلافة من الكوفة إلى الأنبار، وبها كانت وفاته سنة ١٣٦هـ.
الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٠ ص٤٩ – ٥٥، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٠٥ – ٢٠٧.

(٢) عيسى بن موسى بن محمد بن علي بن أخي السفاح والمنصور، أوصى له السفاح بالخلافة بعد أخيه المنصور، فلم يزل به المنصور حتى قدم ابنه المهدي عليه في ولاية العهد، ثم خلعه المهدي من ولاية العهد نهائيًا، وكان عيسى بن موسى يُلقب أثناء ولايته العهد بـ «المرتضى»، وتولى أعمالاً جليلة في العصر العباسي منها: إمارة الحج، وولاية الكوفة، ثلاث عشرة سنة، توفي في سنة ١٦٧هـ، وقيل سنة ١٦٨هـ. راجع سيرته عند: أبو الفدا: المختصر جـ٢ ص٨، الطبعة الأولى، =

المهدي[١] لولديه: موسى الهادي[٢]، ثم لهارون الرشيد، وكاد يقع بسبب ذلك من الأحداث الجسام في الدولة ما أصاب أذاه الكثير من رجالها.

وعلى الرغم من كل الظروف والملابسات الدامية التي أحاطت بولاية العهد، وراح ضحيتها المهدي، والهادي، ومعايشة الرشيد لكل هذه الأحداث، إلا أنه لم يتعظ منها، ووقع في نفس الخطأ الذي وقع فيه سلفه، وزاد الأمر سوءًا حين عهد

= المطبعة الحسينية – القاهرة (د. ت.)، والذهبي: تاريخ الإسلام جـ٥ ص١٠٢٩، الطبعة الأولى، دار الغد – القاهرة ١٩٩٦م.

(١) أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن محمد بن علي، المهدي، أمير المؤمنين، ولد بـ «إيذج» سنة ١٢٧هـ، وأمه أم موسى الحميرية، تلقى العلم عن مقاتل ابن سليمان، والحسن بن عمارة، واستخلف يوم مات أبوه بمكة سنة ١٥٨هـ، اهتم بعمارة الحرمين الشريفين، وكان سخيًا كريمًا، واشتد في قتال الزنادقة لكثرتهم في أيامه، وهو أول من أمر بتصنيف كتب الجدل في الرد على الزنادقة والملحدين، وكانت وفاته سنة ١٦٩هـ، وخلافته عشر سنين. راجع سيرته عند: التنوخي: نشوار المحاضرة جـ٦ ص٦٠، والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ٣ ص٩، ١٨، والسيوطي: تاريخ الخلفاء: ص٢١٧ – ٢٢٣.

(٢) أمير المؤمنين موسى بن محمد المهدي، يكنى بأبي محمد، ولد بالري سنة ١٤٧هـ، وأمه الخيزران أم ولد، بويع له بالخلافة يوم مات أبيه سنة ١٦٩هـ، وأخذ البيعة له هارون الرشيد لوجود الهادي بجرجان وقت وفاة والده، اختلف في سبب وفاته، قيل: سمته أمه «الخيزران» لما عزم على خلع أخيه هارون، وقيل: مات من مرض خبيث أصابه في رجله في ربيع الأول سنة ١٧٠هـ. راجع سيرته عند: الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٣ ص٢٤، ٢٧، والكتبي: فوات الوفيات جـ٤ ص١٧٣ – ١٧٤، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٢٣ – ٢٢٦.

بالولاية من بعد لأبنائه الثلاثة: محمد الأمين، وعبد الله المأمون، والقاسم[١] المؤتمن، وأوقع بذلك بأس أولاده فيما بينهم.

لم يكن ترتيب أولياء العهد طبيعيًا، فقد ولد المأمون ليلة اعتلاء أبيه عرش الخلافة في ليلة الجمعة منتصف ربيع الأول سنة ١٧٠هـ[٢]، وولد الأمين بعده ببضعة شهور[٣]، ومع ذلك قدّم الرشيد الأمين في ولاية العهد على المأمون.

ولعل السبب في ذلك راجع إلى زبيدة[٤] بنت أبي جعفر المنصور التي أنجب

---

(١) القاسم بن هارون الرشيد هو أخو الأمين والمأمون، عهد إليه أبوه بولاية العهد بعدهما، ولقبه «المؤتمن»، وأقطعه الجزيرة والثغور والعواصم، وهو يومئذ فتى في حجر عبد الملك بن صالح، فكان المأمون ينظر في أمر هذه المقاطعات باسم «المؤتمن» إلى أن شب، وأغزاه الرشيد أرض الروم سنة ١٨٧هـ، واستخلف على الرقة سنة ١٩٢هـ لتدريبه على الحكم، ولما مات الرشيد وولي الأمين الخلافة، عزل المؤتمن عن الجزيرة، وأقره على قنّسرين والعواصم سنة ١٩٣هـ، ولما اشتدت فتنة الأمين والمأمون سار المؤتمن إلى المأمون بخراسان، فوجه إلى جرجان سنة ١٩٧هـ فأقام فيها، وأعلن المأمون خلعه من ولاية العهد سنة ١٩٨هـ بعد قتل الأمين، وترك الدعاء له على المنابر، وتوفي ببغداد في حياة المأمون فلم يل الخلافة. ابن الخطيب: تاريخ بغداد جـ١٢ ص٤٠٢، وابن تغري بردي: النجوم الزاهرة جـ٢ ص١١٩.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٤٥، والزركلي: الأعلام جـ٤ ص١٤٢.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ٣ ص٣٣٦ – ٣٤٢، وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ جـ١٠ ص٢٦٣ – ٢٦٥، والزركلي: الأعلام جـ٧ ص١٢٧.

(٤) زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور، ولدت في خلافة جدها المنصور، وكان اسمها «أم العزيز» فكان يرقصها ويقول: أنت زبدة، وأنت زبيدة، فغلب ذلك الاسم عليها، وكانت ذات حسن باهر وجمال ظاهر، وكانت أحب الناس إلى الرشيد، =

منها هارون الرشيد ابنه الأمين، مارست ضغطًا شديدًا على الخليفة حتى يخص ولدها الأمين بولاية العهد أوّلاً دون المأمون – الذي كانت أمه فارسية –، يدل على ذلك ما قاله هارون وهو يبرر تقديمه للأمين على المأمون: «إني لأعرف في عبد الله حزم المنصور، ونسك المهدي، وعزة الهادي، ولو أشأ أن أنسبه إلى الرابع – يعني نفسه – لنسبته، وقد قدمت محمدًا عليه، وإني لأعلم أنه منقاد إلى هواه، مبذر لما حوته يده، يشاركه في رأيه الإماء والنساء، ولولا أم جعفر، وميل بني هاشم لقدمت عبد الله عليه»(١).

ومن هذا يتبين لنا أن هارون الرشيد لم يُقدم على ما أقدم عليه إلا بسبب ضغوط زوجته، والجناح الموالي لها في البلاط العباسي، الذين يريدون إجلاس خليفة عربي هاشمي الأبوين على كرسي الخلافة بعد موت أمير المؤمنين هارون الرشيد(٢).

= تزوجها في سنة ١٦٥هـ، وكانت معروفة بالخير، والفصاحة، والبلاغة، والإنفاق على العلماء، ولها آثار كثيرة في طريق مكة والمدينة، وساقت الماء من الحل إلى الحرم، وكانت وفاتها سنة ٢١٦هـ. انظر: اليعقوبي: تاريخه جـ٢ ص٤٦٦، دار صادر – بيروت ١٤٠٠هـ – ١٩٨٠م، وابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٢ ص٣١٤ – ٣١٧، وابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص٢٩٤ – ٢٩٥.

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٤٥.

(٢) ويذكر الطبري سببًا سياسيًا دفع الرشيد إلى أخذ البيعة لابنه الأمين، وهو خوفه من أن يخرج الأمر من أولاده إلى غيرهم من العباسيين، فيقول: «وكانت جماعة من بني العباس قد مدوا أعناقهم إلى الخلافة بعد الرشيد، لأنه لم يكن له ولي عهد، فلما بايعوا له أنكروا بيعته لصغر سنه. تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٢٤٠».

ومن ثم عقد الخليفة الرشيد لابنه محمد ولاية العهد في شعبان سنة ١٧٣هـ وعمره ثلاث سنوات، ولقبه الأمين، وضم إليه ولاية العراق والشام في سنة ١٧٥هـ، وكان عمره خمس سنوات(١).

وأخذت البيعة للأمين على القواد والجند(٢)، كما أخذها له الفضل بن يحيى على أهل خرسان والمشرق، ثم كتب الرشيد إلى الآفاق بأخذ البيعة للأمين من كل الولايات(٣).

غير أن الرشيد بعد هذه البيعة لم تطب نفسه لهذا التصرف، وبالتالي أدرك البرامكة أنه ليس من العدل أن تكون ولاية العهد للأمين دون المأمون، مع أن الأول أحدث منه سنًا، وأقل كفاءة، وفي ذلك يذكر المسعودي(٤) أن الرشيد استدعى يحيى بن خالد البرمكي، واستشاره في هذا الأمر، فأشار بعقد البيعة لعبد الله بعد محمد، كما أن جعفر بن يحيى الذي كان يقوم برعاية المأمون أشار عليه بذلك أيضًا(٥)، فبايع له الرشيد

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٣١ – ٢٣٢.

(٢) لم تكن الموافقة إجماعية، بل كانت هناك بعض الاعتراضات، ولكن بعد توزيع العطايا وتفريق الأموال، بايع الجميع. اليعقوبي: تاريخه جـ٢ ص٤٠٨، والطبري: تاريخ جـ٨ ص٢٤٠.

(٣) الطبري: نفس المصدر السابق ص٢٤٠ – ٢٤١، والمسعودي: مروج الذهب جـ٣ ص٣٦٤، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، الطبعة الرابعة، المكتبة التجارية ١٩٦٤م.

(٤) مروج الذهب جـ٣ ص٣٦٣.

(٥) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢١١.

بالرقة[١] سنة ١٨٢هـ، ولقبه بـ «المأمون» وولاه خرسان وما يتصل بها إلى همذان[٢]، وكان في الثالثة عشرة من عمره، ثم سار إلى بغداد[٣]، حيث أخذت له البيعة على أهلها وعلى الجند، ثم أرسل إلى الولايات لأخذ البيعة له[٤].

وعلى الرغم من أن بعض المؤرخين[٥] يعللون إقدام الرشيد على تولية المأمون بعد الأمين، لأنه رأى في أخلاق الأمين سوءًا، وفي أفعاله ترفًا، ورأى في سيرة المأمون ما يؤهله لتولي الأمر من بعده، إلا أنني أرى أن الأمر لا علاقة له بأخلاق المأمون وأفعاله، فالأمين والمأمون لم يكونا قد تعدّيا عمر الطفولة والصبا، ولم يك يُعرف خيرهما من شرهما، ولا ميوعتهما من حزمهما، ولعل رغبة الرشيد في إبقاء الخلافة في سلالته دون باقي

---

(١) الرَقّة – بفتح أوله وثانيه وتشديد والهاء –: مدينة مشهورة على الفرات من جانبها الشرقي ببلاد الجزيرة، كانت قاعدة ديار مُضر، وهي اليوم بسوريا، وإحدى محافظاتها. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع جـ٢ ص٦٢٦، وأنور الرفاعي: أطلس العالم الإسلامي ص١٥، مكتبة لبنان، بساحة رياض الصلح – بيروت.

(٢) همذان – بالتحريك والذال معجمة وآخره نون –: مدينة ببلاد الفرس، سميت بهمذان بن الفلوج بن سام بن نوح عليه السلام، فتحت في خلافة عمر بن الخطاب ﷺ سنة ٢٤هـ على يد المغيرة بن شعبة. ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ؟؟ ص٤١٠ – ٤١٧.

(٣) بغداد: مدينة السلام على نهر دجلة بالعراق، وكانت أم الدنيا وسيدة البلاد، وحاضرة الدولة العباسية، وهي الآن عاصمة جمهورية العراق. إبراهيم مصطفى وزملاؤه: المعجم الوسيط جـ١ ص٦٤، طبع مطبعة مصر ١٣٨٠هـ – ١٩٦٠م.

(٤) اليعقوبي: تاريخه جـ٢ ص٤١٥، الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢١١.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٢٦٩، والجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢١١، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٤٥.

أسرته هي التي دفعته إلى ذلك.

ومهما يكن من شيء فقد كانت تلك البيعة في صالح المأمون أكثر منها في صالح الأمين، حيث خُص المأمون بولاية المشرق – خراسان وما والاها –، وكان معه أكثر جند الدولة، أما الأمين فكانت له ولاية الغرب – أي العراق، والشام، ومصر، وشمال إفريقيا –.

ولم يخف هذا الأمر على زبيدة زوج الرشيد، فقد تنبهت إلى الامتيازات التي خص بها الرشيد المأمون دون أخيه الأمين، وأحست بأن ابنها الأمين في موقف ضعيف، فدخلت على الرشيد وقالت له:

«ما أنصفت ابنك محمدًا حيث وليته العراق، وأعريته عن العُدد والقواد، وصيرت ذلك إلى عبد الله دونه»، فقال لها: «وما أنت وتميز الأعمال واختيار الرجال؟ إني وليت ابنك السلم، وعبد الله الحرب، وصاحب الحرب أحوج إلى الرجال من المسالم، ومع هذا فإننا نتخوف ابنك على عبد الله، ولا نتخوف عبد الله على ابنك إن بويع»[١].

وحرصًا من أمير المؤمنين هارون الرشيد على ضبط الأمور لولديه من ناحية، وحماية المأمون من ناحية أخرى، فقد عزم على التوجه إلى بلاد الحجاز سنة ١٨٦هـ لأداء فريضة الحج، واصطحب معه ولديه: الأمين والمأمون، وكبار رجال دولته من الوزراء والقضاة والفقهاء والقواد[٢]، وهناك في البيت الحرام – أي الكعبة – أخذ الرشيد على ولديه المواثيق المؤكدة بأن يُخلص كل منهما

---

(١) المسعودي: مروج الذهب جـ٣ ص٣٦٣ – ٣٦٤.

(٢) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٢١.

للآخر، وأن يترك الأمين للمأمون كل ما عهد إليه من بلاد المشرق: ثغورها، وكورها، وجندها، وخراجها، وبيوت أموالها، وصدقاتها، وعشورها، وبريدها، وسجل الرشيد هذه المواثيق على شكل مراسيم وعلَّقها في الكعبة تعظيمًا لها، وتأكيدًا على تنفيذ ما جاء فيها، كما كتب كتابًا إلى سائر الولايات يأمرهم بإعلان الأمر وأخذ البيعة على ذلك، وإثباته في الدواوين[1]، وقد أَثْبَتُّ نص الكتابين، ونص الكتاب الذي أرسله الرشيد إلى الولايات في نهاية هذا البحث.

وبنظرة متأنية في كتابي: محمد الأمين، وعبد الله المأمون، نجد أن الغنم كله في صالح المأمون، والغرم كله على الأمين، مع أنه ولي العهد الأول، وأن الرشيد كان متحيزًا للمأمون إلى درجة كبيرة فمنحه كل الامتيازات، وأخذ له على الأمين التأكيدات والضمانات التي تكفل له الوفاء بجميع حقوقه إذا آلت الخلافة إلى أخيه الأمين وليس للأمين – بأي حال من الأحوال – عزله من ولاية العهد، وإن بدرت منه باردة في ذلك فللمأمون عزله، كما أن الرشيد أطلق يد المأمون في خراسان في خلافة أخيه الأمين، ولم يجعل له – وهو صاحب السلطة العليا – أي سلطة عليا، فليس له حق تولية، أو عزل، أو إرسال كاتب أو جامع ضرائب، أو محاسبة المأمون في قليل أو كثير في أمور خراسان، فكأنه جعل منها دولة مستقلة داخل دولة الأمين، وجعل من المأمون خليفة غير متوّج في ظل خلافة الأمين، كما أنه أعطى الحق للمأمون في عزل الأمين وأخذ الخلافة منه إن انتقص

---

(١) راجع في ذلك: خليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط ص٤٥٧، تحقيق: د. أكرم العمري، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٧٧م، والطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٢٧٧ – ٢٨٦، والجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٢٢، وابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ص١٧٢، مكتبة ومطبعة صبيح ١٩٦٢م.

شيئًا مما أعطاه له، وإن اختلف الأخوان في شيء فالقول قول المأمون، كما أنه جعل وفاء المأمون للأمين مرتبطًا بوفاء الأمين له، فإن لم يف فهو في حل من بيعته، وله أن يخلعه، وجاء ذلك في الكتابين أكثر من مرة[١].

وبعد ثلاثة سنوات من كتابة عهدي الكعبة، وفي سنة ١٨٩هـ[٢] وفي بلده قوماسين[٣]، جدد الرشيد البيعة على الأمين للمأمون، وأشرك ابنه القاسم معهما في ولاية العهد بعد المأمون، وولاه الجزيرة[٤]،

---

(١) اليعقوبي: تاريخه جـ٢ ص٤١٩ – ٤٢١، وانظر نص الكتابين ص١١٥ – ١٢٠ من هذا البحث.

(٢) هذا ما ذكره اليعقوبي في تاريخه جـ٢ ص٤٢٥، والطبري في تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣١٥ – ٣١٦، بينما يذكر بعض المؤرخين الآخرين أن البيعة بولاية العهد للقاسم كانت في سنة ١٨٦هـ. ابن خلدون: العبر جـ٣ ص٢٧٩، ٢٨٢ – ٢٨٣، ٢٩٠ – ٣٠٠، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٣٢، ولكن الصحيح ما ذكره اليعقوبي والطبري، لأن نصوص كتابي لعهد اللذين أخذهما الرشيد على الأمين والمأمون واللذان سيأتي ذكرهما، لا يوجد بهما ذكر لبيعة القاسم، التي لو تمت قبل كتابتهما لأشير إلى ذلك فيهما، كما أن الطبري وهو يورد خبر البيعة للقاسم في سنة ١٨٦هـ لا يذكر أنها قد تمت، وإنما يقول: «فكان ذلك أول ما حض الرشيد على البيعة للقاسم». الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣١٥ – ٣١٦.

(٣) قرماسين – بالفتح ثم السكون وبعد الألف سين مكسورة وياء ساكنة ونون–: موضع في طريق مكة. ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ٤ ص٣٣٠.

(٤) الجزيرة: بلاد تشتمل على ديار بكر، وديار مضر، وديار ربيعة، وهي تجاوز بلاد الشام، وسميت جزيرة لوقوعها ممتدة بين نهري دجلة والفرات، وقسم منها الآن في دولة سوريا، وقسم بالعراق، وقسم بتركيا. ياقوت: معجم البلدان جـ٣ =

والعواصم[١]، والثغور[٢]، ولقبه بـ «المؤتمن»[٣]، وجعل للمأمون إن آلت إليه الخلافة حق عزل القاسم أو إبقائه، وأمر بأن يكتب ذلك ويلحق بكتابي الكعبة، وكتب بذلك إلى سائر الولايات عهدًا عرف باسم «قوماسين» نسبة إلى البلد التي كتب فيها – أشهد فيه جميع المسلمين على البيعة لأبنائه الثلاثة –، وأخذ فيه العهود والمواثيق على جميع المسلمين أن يعملوا على نصره المأمون إذا لم يف له الأمين[٤].

وهكذا قسم الرشيد إدارة الدولة العباسية بين أبنائه الثلاثة:

الأمين، والمأمون، والمؤتمن، فخص الأمين الذي يمثل الحزب العربي

= ص٦٦ – ٦٧، وابن عبد الحق: مراصد الاطلاع جـ٣ ص١٢١، وأنور الرفاعي: أطلس العالم ص١٥، ٢٠.

(١) العواصم هي المدن التي كانت بجندي «أنطاكية وقنسرين»، وكانت قاعدتها «أنطاكية» أحيانًا و «منبجا» أحيانًا أخرى، وسميت عواصم لأنها كانت تعصم المسلمين وتمنعهم من الروم إذا انصرفوا من غزوهم. ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ٤ ص١٦٥.

(٢) الثغور: يقصد بها المدن التي بين بلاد الإسلام وبلاد الروم شرقي آسيا الصغرى، ومنها ملطية والمصيصة وأذنة وطرسوس – قاعدتها – وزبطرة، وحصن منصور، والحدث، وسميت ثغورًا لمواجهتها للثغرات أو المنافذ في أرض العدو، وهي قسمان: ثغور جزرية وثغور شامية. ياقوت الحموي: المصدر السابق جـ٢ ص٧٩ – ٨١.

(٣) يذكر السيوطي أن الرشيد لما ولى أبناءه الثلاثة: الأمين والمأمون، والمؤتمن ولاية العهد، وأبعد عنها ولده المعتصم لكونه أميًا ساقها الله إليه، وجعل الخلفاء بعده كلهم من ذريته، ولم يجعل من نسل غيره من أولاد الرشيد خليفة، تاريخ الخلفاء ص٢٣٢.

(٤) اليعقوبي: تاريخه جـ٢ ص٤٢٥، والطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣١٥.

بولاية الأقاليم العربية، وأعطى المأمون الذي يمثل الحزب الفارسي ولاية أقاليم الدولة الفارسية القديمة، وجعل للمؤتمن الذي لم تكن بيعته تنتمي إلى مجهود حزب معين على ما بين الأقاليم العربية والفارسية.

وبهذا الصنّيع يكون الرشيد قد ألقى بأس أبنائه بينهم، وبذر بذور الشر والفتنة بين ابنيه: الأمين والمأمون، مما أدى إلى ضعف الحزب العباسي، وهيّأ السبيل لتقوية الحزب العلوي في عهد المأمون وتدخل بني سهل في أموره[1]، وسوف يظهر ذلك واضحًا في الصفحات التالية.

---

(١) الطبري: المصدر السابق جـ٨ ص٣١٦.

ثانيًا: ولاية المأمون على خراسان:

ودور بني سهل في تدبير أموره:

سبق أن ذكرت أن الخليفة هارون الرشيد قد ولى ابنه عبد الله ولاية العهد بعد أخيه محمد الأمين وسماه «المأمون»، وولاه خراسان وما والاها من بلاد فارس القديمة.

وكانت ولاية خراسان في ذلك الوقت في يد علي بن عيسى بن ماهان[١] من قبل الخليفة الرشيد، وكانت مصدر الفتن والقلاقل في عهد هذا الوالي الذي سار على سياسة تنطوي على الظلم والعسف واغتصاب الأموال من الأهالي[٢]، الأمر الذي جعلهم يبعثون بشكواهم إلى الرشيد مستغيثين به[٣]، فسار الرشيد إلى

---

(١) علي بن عيسى بن ماهان، من كبار القادة في عهدي الرشيد والأمين، وهو الذي حَرَّض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد، وسيّره الأمين لقتال المأمون بجيش كبير، وولاه إمارة الجبل، وهمذان، وأصبهان، وقمّ، وتلك البلاد، فخرج من بغداد في أربعين ألف فارس، فتلقاه طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون في الري، فقتل ابن ماهان، وانهزم أصحابه. ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٧٩، وابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص٢٢٦، وابن تغري بري: النجوم الزاهرة جـ٢ ص١٤٩، والزركلي: الأعلام جـ٤ ص٣١٧.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣١٤، وقد أشار إلى ذلك الدينوري في قوله: «... وأظهر – على بن عيسى – الجور، فكان يرسل إلى الخليفة كثيرًا من المال، والطرف التي بهرته». الدينوري: الأخبار الطوال ص٣٩١، تحقيق: عبد المنعم عامر، مكتبة المثنى – بغداد ١٩٥٩م.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣١٥، ومؤلف مجهول: العيون والحدائق جـ٣ ص٣١٣، مكتبة المثنى – بغداد.

الري[١] في آخر شهر ذي الحجة سنة ١٨٨هـ، ومعه ابناه: عبد الله، والقاسم لقتال ابن ماهان[٢]، فلما صار بقرماسين استدعى جماعة من القضاة، وغيرهم، وأشهدهم أن جميع ماله في عسكره من الأموال والخزائن والسلاح والكراع، وما سوى ذلك لعبد الله المأمون[٣]، وجدد البيعة له على من كان معه، ووجه هرثمة ابن أعين[٤] – صاحب حرسه – إلى بغداد، فأعاد أخذ البيعة على محمد الأمين بن هارون الرشيد وعلى من بحضرته لعبد الله والقاسم[٥]، ومضى الرشيد حتى وصل إلى الري فأقام بها مدة أربعة أشهر لم يقم فيها بأي بادرة نحو ابن ماهان إلى أن

---

(١) الري: مدينة مشهورة ببلاد العراق من أمهات البلاد، وأعظم المدن، لم يكن أعمر منها سوى بغداد، وبينها وبين نيسابور مائة وستون فرسخًا، كما تبعد عن قزوين بسبعة وعشرين فرسخًا، وهي من بناء فيروز بن يزدجرد، ومن أعيان من ينسب إليها أبو بكر الرازي الحكيم، صاحب الكتب المصنفة الذي مات بالري بعد منصرفه من بغداد سنة ٣١١هـ. ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ٣ ص١١٦ – ١٢٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص١٩٠.

(٣) المصدر السابق ص٦٨.

(٤) هرثمة بن أعين، أمير من القادة الشجعان، له عناية بالعمران، ولاه الخليفة الرشيد مصر سنة ١٧٨هـ، ووجهه إلى إفريقيا لإخضاع ثوراتها سنة ١٧٩هـ، ثم طلب الاستعفاء فأعفاه هارون سنة ١٨١هـ، وولاه خراسان، وكان مع المأمون في الفتنة التي قامت بينه وبين أخيه الأمين، توفي هرثمة – أو قتل – سنة ٢٠٠هـ. راجع سيرته عند: ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٣١٤ – ٣١٥، ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب ص٣٥٨، ط٢، دار المسيرة – بيروت ١٩٧٩م، والزركلي: الأعلام جـ٨ ص٨١.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣١٥ – ٣١٦، وابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص١٧٣، وابن قتيبة: المعارف ص٣٨٢.

قدم إليه، وقدّم له فروض الطاعة، كما قدَّم أنواعًا من الهدايا والطرف للرشيد وكبار رجال دولته الذين كانوا في صحبته، فرضي عنه الرشيد ورده إلى خراسان، ثم عاد الرشيد ومن معه إلى بغداد(١).

غير أن الأمر لم يطل بعلي بن عيسى في خراسان، فقد ازداد حكمه سوءًا بأهالي خراسان واستهانة واستخفافًا بهم(٢)، فأرسل إليه الرشيد القائد هرثمة بن أعين، وكتب عهدًا بتوليته خراسان(٣) سنة ١٩١هـ، فلما وصل هرثمة إلى مرو – عاصمة خراسان – قبض على علي بن عيسى بن ماهان، وصادر أمواله، وأرسله مكبلاً إلى الخليفة في بغداد(٤)، فأمر الرشيد بحبسه هو وولده، وقبْض أمواله، ولم يزل ابن عيسى محبوسًا حتى وفاة الرشيد(٥).

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣١٦.

(٢) ابن خلدون: العبر جـ٣ ص٤٧٠، دار الكتاب اللبناني – بيروت ١٩٦٧م، وقد ذكر ابن خلدون أن علي بن عيسى بن ماهان أهان الحسين بن مصعب – والد طاهر بن الحسين – الذي استجار بالرشيد.

(٣) اليعقوبي: كتاب البلدان ص٣٠٥، والطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٢٤، والأزدي: تاريخ الموصل ص٣١١، تحقيق: علي حبيبه، طبع: لجنة إحياء التراث الإسلامي – القاهرة ١٣٨٧هـ – ١٩٦٧م.

(٤) مؤلف مجهول: العيون والحدائق جـ٣ ص٣١٤، والأزدي: تاريخ الموصل ص٣١٢.

(٥) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٧٣، ولما تولى الأمين الخلافة (١٩٣ – ١٩٨هـ) أطلق علي بن عيسى من سجنه واتخذه قائدًا له. راجع بالتفصيل: الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٢٤ – ٣٣٨.

ثورة رافع بن الليث[1]:

ترتب على سوء سياسة علي بن عيسى في خراسان قيام رافع بن الليث بالثورة عام ١٩٠هـ في سمرقند[2]، وانضم إليه الخراسانيون نكاية في علي بن عيسى[3]، وقد عمت الثورة، وتفاقمت، فندب الخليفة الرشيد هرثمة بن أعين لقتال رافع هذا، فخرج هرثمة لقتاله، ولم يزل محاربًا له حتى قتل الكثير من أصحابه[4].

---

(١) رافع هذا هو حفيد نصر بن سيار، آخر ولاة الأمويين بخراسان، وهو الذي نبّه بني مروان بالشام وحذرهم من تفاقم الأخطار بسبب الدعوة العباسية بخراسان إلى أن تغلب أبو مسلم الخراساني على خراسان، فخرج نصر بن مرو سنة ١٣٠هـ، ورحل إلى نياسبور، وانتظر النجدة إلى أن وافته المنية وهو في مفازة بين الري وهمذان، ومات ببلدة «ساوة»، و «نصر» هذا عربي من قبيلة كنانة، فهو نصر بن سيار بن رافع بن حري بن ربيعة الكناني، وكان شيخ مضر بخراسان، وولي بلخ، ثم ولي خرسان سنة ١٢٠هـ. الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٦٦، والزركلي: الأعلام جـ٣ ص١٢ – ١٣.

(٢) سمرقند: مدينة في وسط آسيا (ببلاد ما وراء النهر)، تقع شرقي بخاري بحوالي مائة وخمسين ميلاً، وهي قصبة بلاد الصغد، ويقال إنّ لها إثنى عشر بابًا، وعليها سور حول خندق عميق، ولها قلعة مرتفعة عن الأرض، وذات أنهار وبساتين. ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ٣ ص٢٤٦ – ٢٥٠، والقرماني: أخبار الدول جـ٣ ص٣٨٠، كي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص٥٠٦ – ٥٠٧، تعريب: بشير فرنسيس، وكوركيس عواد، ط٢، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٨٥م.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣١٩.

(٤) اليعقوبي: تاريخه جـ٢ ص٤٣٥، وابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص٢١٩.

وعلى الرغم من نجاح هرثمة في فتح «بخاري»[1]، وأسره أخًا لرافــع، إلا أنه لم يتمكن من القضاء على ثورة رافع، الذي ازداد أمره خطورة، ممــا جعــل الخليفة يخرج بنفسه إلى خراسان لمحاربته في شهر شعبان ســنة ١٩٢هـــ[2]، بعد أن استخلف ابنه محمد الأمين على بغداد، واصطحب معــه وزيــره الفــضل ابن الربيع[3]، وابنيه: صالح، والمأمون الذي حــرص علــى أن يرافقــه كاتبــه

(١) بُخارى – بالضم –: من أعظم مدن ما وراء النهر وأجلِّها، يعبر إليهــا مــن آمــل الشط، وهي كثيرة البساتين، واسعة الفواكه، وكانت قاعدة ملك السامانيين، غزاها المسلمون في خلافة معاوية بن أبي سفيان بقيادة عبد الله بــن زيــاد، ودخلهــا، وصالح أهلها على ألف ألف دينار، كما غزاها سعيد بن عثمان بــن عفــان ســنة ٥٥هـــ وفتحها، ويُنسب إلى بخارى خلق كثير من أئمة المسلمين في فنون شــتى، منهم إمام أهل الحديث أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، وغيره كثيــرون. ياقوت الحموي: معجم البلدان جـــ١ ص٣٥٣ – ٣٥٦.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـــ٦ ص٢٠٧.

(٣) الفضل بن الربيع بن يونس، حاجب الخليفة المنصور ووزيره، وينتمي إلــى أبــي فروة من سبي الخليل بالشام، جلب إلى المدينة فاشتراه عثمــان بــن عفــان ﷺ وأعتقه، وكان يعمل حفارًا للقبور، ولذا فهو عربي النشأة، وكان يعتبر من العرب، وقد تقلد الفضل حجابة الهادي والرشيد، وكان يكره البرامكة ويوقع بهم، وكان له دور كبير في إيغار صدر الرشيد عليهم، ولما نكبهم الرشيد ولاه الوزارة، ومع أنه حدّ من سلطته، إلا أن أصبح رجل البلاط الأول، وظل فــي الــوزارة حتــى وفــاة الرشيد، توفي الفضل سنة ٢٠٨هـــ. الطبــري: تــاريخ الأمــم والملــوك جـــ٨ ص٢٦١، الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٣٣، وابن خلكان: وفيــات الأعيــان جـــ٢ ص٢٩٩، وابن كثير: البداية والنهاية جـــ١٠ ص٢٨٥ – ٢٨٦.

الفضل بن سهل[١].

وكان الفصل بن سهل هو الذي أوحى إلى المأمون بالخروج مع والده الرشيد قائلاً له: «لست تدري ما يحدث بالرشيد وهو خارج إلى خراسان وهي ولايتك ومحمد المقدّم عليك، وإن أحسن ما يصنع بك أن يخلعك، وهو ابن زبيدة، وأخواله من بني هاشم، وزبيدة وأموالها ردء له[٢]، فاطلب منه أن يشخصك معه»، فوافق المأمون على ذلك، وخرج في صحبه أبيه ومعه الفضل بن سهل[٣].

وهكذا بدأ تدخل بني سهل في أمور المأمون، فظهرت آثارهم في تدبير أموره، وأصبحت لهم بعد ذلك منزلة كبرى لديه، ولدي أهل خراسان، كما سيتضح من خلال الصفحات التالية من هذا البحث.

مضى الرشيد في طريقه إلى خراسان مصطحبًا معه ابنه المأمون، ولما بلغ جرجان[٤] اشتدت به علته، فسير ابنه المأمون إلى «مرو»[٥] ومعه جمع من

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٧٤.

(٢) نفس المصدر السابق ص٢٠٧.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٣٨.

(٤) جُرجان – بالضم وآخره نون –: مدينة مشهورة عظيمة بين طبرستان وخراسان، بناها يزيد بن المهلب بن أبي صفرة، وهي تقع على واد عظيم في ثغور بلدان السهل والجبل، والبر، ويوجد بها الزيتون، والنخيل، والجوز، والرمان، وقصب السكر، والأترج، وبها أحجار كريمة، وبها ثعابين تهوّل الناظر لكن لا ضرر لها، وقد خرج منها خلق من الأدباء، والعلماء، والفقهاء، والمحدثين، ولها تاريخ ألّفه حمزة بن يزيد السهمي. ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ٢ ص١١٩ – ١٢١.

(٥) مرو: كانت أشهر مدن خراسان، وعاصمتها وأقدمها، وتقع الآن فيما كان يعرف بالاتحاد السوفيتي سابقًا. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع جـ٣ ص١٢٦٢.

القواد[١]، وسار هو إلى «طوس»[٢]، فوصلها في صفر سنة ١٩٣هـ[٣] ومعه وزيره الفضل بن الربيع، والأموال، والمتاع، وبقية الجيش[٤]، وكان يأمل أن تزول عنه العلة فيلحق بالمأمون، ولكنه لم يلبث أن زاد به المرض، فتوفي بطوس في جمادى الآخرة سنة ١٩٣هـ[٥].

وقد صدق ظن الفضل بن سهل في أمر الأمين، فقد استطاع الفضل بن الربيع أخذ جميع ما في معسكر الرشيد من أموال، وجنود، وسلاح، وعاد إلى الأمين ناكثًا العهود والمواثيق التي أخذها الرشيد عليه وعلى المأمون[٦].

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٣٨ - ٣٤١.

(٢) طوس: مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور عشرة فراسخ، فتحت في خلافة عثمان بن عفان ﷺ، وبها قبرا: هارون الرشيد، وعلي بن موسى الرضا، وهي بلدة أبي حامد الغزالي، وتعتبر الآن قاعدة القسم الإيراني من خراسان، وينتمي إليها نظام الملك الطوسي (ت٤٨٥هـ). ياقوت: معجم البلدان جـ٤ ص٤٩ - ٥٠، وكي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص٤٣٠ - ٤٣١.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٤١.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٧٥.

(٥) اليعقوبي: تاريخه جـ٢ ص٤٣٠، والطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٤٢ - ٣٤٦.

(٦) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٧٠، وابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ جـ١٠ ص٢٢٣. وكان الرشيد عندما أحس بدنو أجله وهو في مدينة طوس بعد أن اشتدت به العلة، أوصى وزيره الفضل بن الربيع أنه إذا حُمّ القضاء يجب عليه أن يلحق بالمأمون، ويسلم إليه الأموال التي كانت في حوزة الرشيد، كما أوصاه أن يسير ببقية القوات التي كانت مع الرشيد إلى المأمون أيضًا =

وبلغ المأمون نبأ وفاة الرشيد، وكان قد خرج من مرو، فعاد إليها مرة أخرى، ونعى أباه الرشيد إلى الناس، وبايع لمحمد الأمين[1]، كما بلغه ما كان من أمر الفضل بن الربيع من أخذه العسكر والأموال ليضمها إلى الأمين، فاستشار من حوله، فاجتمع رأيهم على إرسال جيش على رأسه المأمون لإجبار الجند على العودة، لكن الفضل بن سهل حذر المأمون عاقبة ذلك قائلاً: «إن فعلت ذلك لم آمن

= لمساعدته في نضاله، وكان الفضل قد أبدى موافقته على رأي الخليفة وتعهد بتنفيذ ذلك قائلاً: «أعاهد الله تعالى، وأمير المؤمنين، على أني سأحفظ هذه الوصية وسأقوم بتنفيذها». البيهقي: تاريخه ص٨. ولكن لم يف الفضل بوعده، وأرسل إلى الأمين، وأعلمه بحال والده، وأمر وصيته التي أوصاه بها، فأرسل إليه الأمين كتابًا يأمره فيه بالاحتياط على معه من الأموال، والعودة إلى بغداد مع الجند إذا توفي الخليفة الرشيد. الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٧٣. كما أرسل كتابًا آخر إلى أخيه المأمون لم يُشر فيه إلى موقفه من جند الرشيد بـ «طوس»، واكتفى بأن دعاه في حال وفاه أبيه إلى أخذ البيعة له ولنفسه، ولأخيه القاسم وفق الشروط التي أقرها الرشيد بقوله: «خذ البيعة ممن قبلك من قوادك وجندك، وخاصتك، وعامتك لأخيك ثم لنفسك، ثم للقاسم بن أمير المؤمنين على الشريطة التي جعلها لك أمير المؤمنين من نسخها له وإثباتها». الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٦٧ – ٣٦٨، وابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٨٠. ولما مات الرشيد عاد الفضل بالأموال والجيش إلى بغداد، وخان بذلك وصية الرشيد.

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٧٠، وقد ظلت مدينة «مرو» عاصمة ولاية خراسان بعد نزول المأمون فيها، إلى أن نزل عبد الله بن طاهر بنيسابور.

أن يقبضوا عليك ويجعلوك هدية إلى محمد الأمين»، وأشار عليه بإرسال رسل إليهم يُذَكّرونهم بالبيعة، ويسألونهم الوفاء، ويحذرونهم الحنث[١]، ولكن الجند أساؤا مقابلة الرسل، ونالوا من المأمون، وصمموا على العودة إلى بغداد وعلى رأسهم الفضل بن الربيع[٢].

ولما علم الفضل بن سهل بذلك أخذ يهون على المأمون أمر رحيل جند الرشيد إلى بغداد، وقال له: «هؤلاء أعداد قد استرحت منهم وبعدوا عنك ...»، وأشار عليه بالبقاء في خراسان، فهم أخواله وشيعته الملتفون حوله، والمقاتلون دونه، ونصحه قائلاً: «اصبر، وأنا أضمن لك الخلافة»[٣]، فنزل المأمون على رأيه، وأقام في مرو، وفوضه الفضل بن سهل في أموره[٤].

وهكذا استمر المأمون في ولاية خراسان، واستطاع كسب محبة أهلها بحسن معاملته لهم، ووضع ربع الخراج عنهم، حتى لقد قالوا فيه: «ابن اختنا، وابن عم النبي محمد ﷺ»[٥].

وبذلك كان لمعاملة المأمون للخراسانيين أثر كبير في تعصبهم له، وفي

---

(١) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٧٧ – ٢٧٨.

(٢) ابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٨.

(٣) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٧٧ – ٢٧٨.

(٤) وقد ورد في تهدئة الفضل بن سهل للمأمون حديث طويل دار بينهما في أمر شئون الدولة، وما يجب أن يكون عليه من حسن خلق وعلم للقيام بأعباء الحكم. انظر: الطبري: تاريخ جـ٨ ص٣٧١ وما بعدها، الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٧٧ وما بعدها، وابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٢٤ وما بعدها.

(٥) الأزدي: تاريخ الموصل ص٣١٨.

نفس الوقت عمل المأمون على استرضاء أخيه الأمين، فأرسل إليه الهدايا، وكاتبه ليشعره بعدم تغيّره عليه، وبمكانته ومنزلته لديه(١).

غير أن الأمور كانت تسير على عكس ما كان بين الأخوين ظاهرًا، فبقدر ما كان الفضل بن الربيع يُحرض الأمين على أخذ البيعة لابنه موسى، وخلع المأمون من ولاية العهد خشية أن ينتقم منه المأمون إذا ما تولى الخلافة(٢)، بقدر ما كان الفضل بن سهل يقوم بتدبير أمر المأمون، ويشير عليه بحسن معاملة الخراسانيين حتى يُمكّن له في قلوبهم ويجعلهم لا يرضون غيره بديلاً(٣)، وظلت الأمور بين الأخوين تسير على هذا النحو، إلى أن ظهر الخلاف بينهما علانية، الأمر الذي أدى في النهاية إلى قيام الحرب بينهما، ومقتل الأمين وتوليه المأمون الخلافة بفضل الخراسانيين، وعلى رأسهم الفضل بن سهل، فكيف تم هذا؟.

ثالثًا: الصراع بين الأمين والمأمون:

ودور بني سهل في انتصار المأمون:

استطاع الفضل بن سهل أن يجذب أهالي خراسان إلى مساندة المأمون، وكون منهم جبهة قوية تقف بجانبه ضد أخيه الأمين الذي كان يلي وزارته في

---

(١) المسعودي: التنبيه والإشراف ص٣٠٠، دار الصاوي للطبع والنشر والتأليف، صححه: عبد الله إسماعيل الصاوي، القاهرة ١٣٥٧هـ - ١٩٣٨م، وابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٢٢٥، والخضري: تاريخ الأمم الإسلامية ص١٥٩ (الدولة العباسية)، الطبعة التاسعة، المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة ١٩٥٩م.

(٢) ابن الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٢ ص٣٤٤، وابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ص٢١٣، ٢١٥.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٧١.

ذلك الوقت الفضل بن الربيع الذي قام بجميع أمور الدولة في الفترة التي ولي فيها الأمين الخلافة[١]، وقد عرف عنه أنه نكث العهود التي أخذها الرشيد عليه لابنه عبد الله المأمون[٢]، لذلك رأى أن الخلافة لو آلت إلى المأمون لقضى عليه، ومن ثم سعى إلى إغراء الأمين بالمأمون، وحثه على خلعه، ونقل ولاية العهد إلى ابنه موسى[٣].

ولكن الأمين في البداية لم يقبل من الفضل بن الربيع ما زينه له، وعزم على الوفاء لأخويه بما شرط لهما أبوهما الرشيد، ولكن الفضل ألَحّ عليه في ذلك واستعان عليه بمجموعة من القواد على رأسهم علي بن عيسى بن ماهان، وبالغ في إغرائه، وتصغير شأن المأمون، وتزيين خلعه، وصور للأمين أن البيعة بولاية العهد كانت له وحده، وإنما أدخل فيها أخويه واحدًا بعد الآخر[٤]، ومع ذلك لم يوافق الأمين على خلع أخويه وإن قبل إشراك ابنه موسى بعدهما في ولاية العهد، وكتب إلى سائر الولايات بالدعوة له بعدهما[٥]، ولكن ما لبث الأمين تحت

---

(١) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٢٩ – ٢٣١، وابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ص٢١٥.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٧٠، وابن الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٢ ص٣٤٤.

(٣) ابن طباطبا: الفخري ص٢١٣، وقد وصف ابن قتيبة هذه السعاية بقوله: «لظّ قوم – أي اتصل به، وتقرب إليه – من أشرار العراق، فقيل له: معك الأموال، والرجال، والقصور، فادفع في نحر أخيك المأمون». ابن قتيبة: الإمامة والسياسة ص١٧٤ – ١٧٥، تحقيق: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه – القاهرة.

(٤) الطبري: تاريخ جـ٨ ص٣٧٣.

(٥) نفس المصدر السابق، الجزء والصفحة.

ضغط وإلحاح الفضل بن الربيع وكبار القواد عليه أن عزل المؤتمن عما كان الرشيد قد ضم إليه من أعمال، فأحس المأمون بتدبير الأمين أمر خلعه، وبادر من جهته بقطع البريد عن الأمين، وأسقط اسمه من الطراز[1]، ومن العملة التي ضربها في خراسان[2]، وأمر بسك عملة جديدة يُنقش عليها اسم المأمون، كما قام بوضع المراصد، وأقام المسالح (المعسكرات)، ونصب حراسًا على الحدود مع العراق، وخراسان لا يسمحون لأحد بدخول خراسان إلا أهل الثقة، أو من يحمل جوازًا بذلك، وأمرهم بتفتيش الكتب، وألا يمكنوا أحدًا من رسل الأمين من الاتصال بأحد من أهل خراسان، أو يتصل بهم أحد منهم، كما نجح في استمالة بعض الجند والقواد في بغداد ليكونوا عيونًا له على الأمين[3].

وبالإضافة إلى ذلك قام المأمون بعدة إجراءات إدارية في خراسان والري اعتبرها الأمين عملاً انفراديًا، وخروجًا على واجب الولاء والطاعة، وتصرفًا غير لائق من المأمون، مما أوغر صدره عليه، فأراد أن يبعده عن خراسان – مقر نفوذه –، فأرسل إليه بالحضور إلى بغداد للمشورة والرأي، لكن المأمون اعتذر عن الحضور بناء على نصيحة الفضل بن سهل الذي رده عن هذا الأمر بقوله: «ما يريد بك خيرًا، وما أرى لك إلا الامتناع عليه»، وأشار عليه بعدم الذهاب إلى

---

(١) الطراز: هو الكتابة الزخرفية التي توجد على الأقمشة، وهو لفظ أعجمي مأخوذ من كلمة «طرازيدن» ومعناها: التطريز، ثم اتسع مدلولها فأصبحت تستعمل للكتابة على الورق والنسيج. د. سعاد ماهر: النسيج الإسلامي ص٤، طبع الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية والوسائل التعليمية – القاهرة ١٩٧٧م.

(٢) الطبري: تاريخ جـ٨ ص٣٧٦، وابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٢٣٠، والجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٩٢.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٨٥.

بغداد وقال له: «أنت نازل بين أخوالك وبيعتك في أعناقهم»(١).

أراد الأمين أن يضعف من شأن المأمون بأن يقتطع منه بعض كور خراسان، وأن يعيد تعيين رجل بريد له في بلاط المأمون ليكتب له بأخباره، ويطلعه على تدبيره، ومهمته الحقيقية الاتصال ببعض القواد والرؤساء في خراسان، وإغرائهم بالأموال والمناصب، والإقطاعات للتأليب على المأمون، ولكن الوفد حين وصل إلى حدود خراسان أحاط بهم الحرس، وحُفظوا في حال ظعنهم وإقامتهم من أن يُخبروا أو يُستَخبَروا، وكتب يخبرهم في مكانهم، فجاء الإذن في حملهم على «مرو»، فحملوا في حراسة مشدّدة لا خبر يصل إليهم، ولا خبر يتسرب منهم إلى غيرهم(٢).

ولما قرأ المأمون كتاب الأمين شاور أصحابه، فأشاروا عليه بالموافقة على ما طلبه الأمين، ومال المأمون إلى رأيهم، ولكن الفضل بن سهل منعه وطالبه بأن لا يوافق حتى لا يتمادى الأمين في طلبات التنازل، فتنازُل المأمون عن شرط واحد سيؤدي في النهاية إلى الإذعان للشروط الباقية، فنزل المأمون على رأيه، وكتب إلى الأمين معتذرًا(٣).

كان رفض المأمون دافعًا جعل الأمين يقدم على خطوة أخرى، فعزم على

---

(١) نفس المصدر السابق ص٣٧٢ – ٣٧٥.

(٢) نفس المصدر السابق ص٣٨٠، وكان لذلك أعظم الأثر في عدم تمكين الأمين من اتخاذ أنصار له في خراسان أو عيون له على المأمون.

(٣) جاء في كتابه «... فلا تبعثني يا ابن أبي على مخالفتك ... وارض بما حكم به الحق في أمرك أكن بالمكان الذي أنزلني به الحق فيما بيني وبينك». الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٨٠.

تقديم ابنه موسى على المأمون في ولاية العهد، فأرسل إلى المأمون ثلاثة من كبار رجال الدولة[١] يفاوضونه في تقديم موسى على نفسه، وتهوين الأمر عليه، فشاور المأمون الفضل بن سهل، فرفض الفضل ولقب المأمون أمام الوفد بـ «الإمام»، كما نجح في تحويل ولاء أحد هؤلاء الثلاثة إلى المأمون فبايعه بالخلافة، وطلب منه أن يكون عينًا على الأمين يوافيه بأخباره وتدابيره[٢].

ولما عاد الوفد إلى الأمين في بغداد، وعرف عدم قبول المأمون البيعة لابنه موسى، أقنعه الفضل بن الربيع، وعلي بن عيسى بن ماهان بخلع المأمون من ولاية العهد والبيعة لابنه موسى، فنزل الأمين على رأيهم وأعلن خلع المأمون، وأظهر البيعة لابنه موسى وسماه «الناطق بالحق»[٣]، وولاه العراق، وجعله في حضانة علي بن عيسى، كما أبطل الدعاء لعبد الله المأمون على المنابر، وأمر بالدعاء لابنه، وأرسل إلى مكة من أحضر له عهدي الرشيد من جوف الكعبة فمزقهما، وأبطل العمل بهما[٤]، كما صادر ما كان للمأمون من أموال في بغداد،

---

(١) هم العباس بن موسى بن عيسى، وصالح صاحب المصلى، ومحمد بن عيسى بن نهيك. الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٧٥ - ٣٧٦.

(٢) هو العباس بن موسى بن عيسى، وكان العباس قد أشار على المأمون بقبول تقديم موسى على نفسه، ضاربًا له المثل بجده عيسى بن موسى، فصاح به الفضل: «اسكت، فإن جدك كان في أيديهم أسيرًا، وهذا بين أخواله وشيعته» ولقد أعجب الفضل بن سهل بذكاء العباس، فأغراه بولاية إمارة الحج وإمره مصر، على أن يبايع للمأمون، ويكون عينًا له في بلاط الأمين، فأجابه العباس. الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٧٦.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٨٩.

(٤) نفس المصدر السابق ص٣٧٧، والأزدي: تاريخ الموصل ص٣١٩.

ورفض إرسال زوجته وولديه إليه، وبذلك تكون المفاوضات بين الأخوين قد وصلت إلى طريق مسدود، ولم تنجح الوسائل السلمية في حل مشاكلهما، فلجئا إلى الحرب.

القتال بين الطرفين:

كان الأمين هو الذي بدأ بإرسال جيش بقيادة علي بن عيسى بن ماهان لقتال المأمون، وأعطاه ولاية خراسان، واشترك في هذا الجيش كثير من القوات العربية، ويذكر ابن الأثير[١] أن زبيدة أوصت علي بن ماهان بالمأمون خيرًا، وكذلك أوصاه الأمين إن هو ظفر به أن يعامله معاملة الملوك عند الأسر، ولا يقتله، وحمل معه قيدًا من الفضة كما أرادت زبيدة[٢].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٥ ص١٤٣.

(٢) يذكر الطبري أن علي بن عيسى لما عزم على الخروج بجيشه إلى خراسان لقتال المأمون، ركب إلى باب أم جعفر (زبيدة) ليودعها – بوصفها حفيدة خليفة، وزوج خليفة، وأم خليفة – فقالت ساعتئذ: «يا علي، إن أمير المؤمنين وإن كان ولدي، إليه تناهت شفقتي، فإني على عبد الله – تعني المأمون – منعطفة مشفقة لما يحدث عليه من مكروه وأذى، وإنما ابني ملك نافس أخاه في سلطانه، فاعرف لعبد الله – المأمون – حق ولادته وأخوته، ولا تجبّهه بالكلام، فإنك لست نظيرًا له، ولا تقتسره اقتسار العبيد، ولا ترهقه بقيد ولا غُل، ولا تمنع منه جارية ولا خادمًا، ولا تُعَنِّف عليه في السير، ولا تساوه في المسير، ولا تركب قبله، وخذ بركابه إذا ركب، وإن شتمك فاحتمل منه»، ثم دفعت إليه قيدًا من فضة وقالت له: «إذا صار إليك فقيده بهذا القيد»، فقال لها: «سأفعل ما أمرت به». الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٤٠٥ – ٤٠٧، وانظر أيضًا: الدينوري: الأخبار الطوال ص٣٩٦، تحقيق عبد المنعم عامر، مكتبة المثنى – بغداد ١٩٥٩م، وابن طباطبا:=

ولم يكن الأمين موفقًا في اختيار قائده علي بن عيسى بن ماهان، فعلى الرغم مما كان يتمتع به من كفاءة حربية عالية، إلا أن أهل خراسان كانوا يكرهونه كراهة شديدة لما أنزله بهم من الشدائد حينما كان واليًا عليهم في عهد الرشيد[١]، وكان وجوده على رأس جيش الأمين كافيًا لإثارة أحقادهم القديمة، ووقوفهم جميعًا في وجهه.

ولا شك في أن الفضل بن سهل كان له دور كبير في هذا الأمر، فقد أوعز إلى رجال من خراسان بأن يكتبوا للأمين أنه إن قاد جيشه علي بن عيسى فعليهم السمع والطاعة، فاغتر الأمين بذلك، وعين ابن عيسى قائدًا لجيشه، ونجحت مكيدة الفضل بن سهل، فما أن سمع أهل خراسان بمقدم ابن عيسى، حتى صارت في نفوسهم الحمية لرده والانتقام منه[٢]، وفي المقابل عمل الفضل بن سهل على إعداد جيش من الفرس لمقابلة هذه القوات.

وبذلك اتسع الخلاف بين الأخوين، وتحول إلى صراع بين العرب والفرس، فأعد الفضل بن سهل جيشين عظيمين يقودهما بطلان من خيرة أبطال الفرس، وهما: طاهر بن الحسين، وهرثمة بن أعين، وصار الأول يقصد بغداد من

= الفخري في الآداب السلطانية ص١٧٤. ونستشف من قولها السديد هذا مدى رزانتها وعطفها على المأمون، وحثها عليًّا على إكرامه واحترامه.

(١) تولى علي بن عيسى بن ماهان خراسان في عصر الرشيد، فظلم وتجاوز الحد، فشكاه أهلها للرشيد، فحبسه واستصفى ماله وأهله، وعين بدلاً منه هرثمة بن أعين، وظل في حبسه إلى أن تولى الأمين الخلافة، فأطلقه واتخذه قائدًا له. راجع تفصيل ذلك عند: الطبري: تاريخ جـ٨ ص٣٢٤ – ٣٣٨.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٩٠، وابن خلدون: العبر جـ٣ ص٢٣٢.

الجنوب، والثاني يقصدها من الشمال، فتقابلت قوات طاهر بن الحسين مع قوات علي بن عيسى بالري على مداخل خُراسان، فانهزم علي بن عيسى، وقتل في رمضان سنة ١٩٥هـ[١]، وظفر طاهر بكثير من الغنائم التي كانت في حوزة ابن عيسى، وأرسلت رأسه إلى المأمون في خراسان[٢].

ولما وصلت الأخبار إلى المأمون بهزيمة جيش الأمين، وقتل علي بن عيسى، خلع الأمين من الخلافة وأعلن نفسه خليفة للمسلمين، وأمر بالدعاء له على المنابر في جميع كور خراسان وما يليها[٣]، فاجتمعت عليه كلمة أهلها، كما أنعم على رجال دولته بالألقاب، فلقب الفضل بن سهل بـ «ذي الرياستين»[٤]، وظاهر بن الحسين بـ «ذي اليمينين»، وأمره بالمسير إلى بغداد[٥].

استمر طاهر في انتصاراته وتقدمه نحو العراق، ثم ما لبث أن انضم إليه هرثمة بن أعين لإتمام تلك المهمة التي وقعت على عاتقهما[٦]، وقد أتم هذان القائدان مسيرتهما نحو العراق وفق خطة محكمة، فقد تمكنا من فتح الكثير من المدن والقرى التي ضماها إليهما، إلى أن بلغا بغداد حيث حاصرا محمدا

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٩٣، والمسعودي: مروج الذهب جـ٢ ص٣٠٩.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٩٤، والأزدي: تاريخ الموصل ص٣٢٣.

(٣) اليعقوبي: تاريخه جـ٢ ص٤٣٨، والطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٤١١.

(٤) الطبري: نفس المصدر الأخير ص٤٢٤، والمقصود بالرياستين: رياسة الحرب، والتدبير.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٤١٥.

(٦) قحطان الحديثي: الطاهريون .. دراسات لأحوالهم السياسية والإدارية ص٦٩، رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الآداب – جامعة بغداد ١٩٦٦م (لم تنشر).

الأمين[١].

ولم يكن حصار بغداد بالأمر السهل، فقد عانى الأمين من شدة ذلك الحصار الذي استمر شهورًا عديدة، بينما أحكم طاهر وهرثمة حصار المدينة من جميع جهاتها، ومنعا عنها المؤن والأموال، ونصبا حولها المجانيق، ومنعا عن الأمين وصول المؤن والإمدادات[٢].

ولما ضاق الأمين بالحصار، أمر ببيع كل ما في الخزائن من الأمتعة، وضرب آنية الذهب والفضة دنانير ودراهم لينفق منها على جنده، وكان ما وصل إليه حال الأمين سببًا في انقضاض كثير من قواده من حوله بعد أن بذل لهم طاهر الأمان، فأجابه كثير منهم[٣]، وبذلك ساءت أحوال الأمين أكثر من ذي قبل، حتى تفرق عند أصحابه وعامة جنده وأتباعه[٤].

ولما وصلت الأمور إلى هذا الحد، وأيقن الأمين أنه هالك لا محالة، استشار من بقي معه من قواده، فأشاروا عليه بطلب الأمان لنفسه من طاهر[٥]، لكنه رفض، لأنه كان لا يميل إلى طاهر، فطلب الأمان من هرثمة، ولما علم طاهر بذلك

---

(١) نفس المرجع السابق ص٧١.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٤٥٨، وأبو الفدا: المختصر في أخبار البشر جـ٢ ص٢٠.

(٣) المسعودي: مروج الذهب جـ٢ ص٣١٩.

(٤) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٢٨٠، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٣٩.

(٥) كان بعض قواد الأمين قد أشاروا عليه قبل ذلك بالخروج إلى الشام أو بلاد الجزيرة أو مصر ليتقوى بأهلها، إلا أنه لم يتحمس لنصيحتهم. الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٤٧٨، ومؤلف مجهول: العيون والحدائق جـ٣ ص٣٣٧.

أبى أن يكون خروج الأمين إلى هرثمة حتى لا ينسب الفتح إليه بدونه، فأكمن له كمينًا، ولما خرج الأمين إلى سفينة هرثمة هاجمها أصحاب طاهر وأغرقوا السفينة، وسبح الأمين حتى الشاطئ فأدركوه وأسروه، وأمرهم طاهر بقتله، فقتل في المحرم سنة ١٩٨هـ[١].

وهكذا قتل الأمين على يد رجال طاهر بن الحسين بعد أن ظفر به أسيرًا، فلم ينتظر إرساله لأخيه المأمون ليبت في أمره، بل نفذ حكمه فيه، ثم أرسل برأسه إلى المأمون بخراسان معلنًا له النصر والخلافة[٢].

وبعد قتل الأمين، أعطى طاهر الأمان لأهل بغداد، وصلى بهم الجمعة، وخطبهم خطبة حثهم فيها على الطاعة ولزوم الجماعة، وانصرف إلى معسكره بعد أن بايع الناس للمأمون[٣].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٢٨٧، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٤٣.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٤٨٨.

(٣) راجع في النزاع بين الأمين والمأمون المصادر والمراجع التالية: اليعقوبي: تاريخه جـ٢ ص٤٣٣ – ٤٤٣، والطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٧٤ – ٥٢٧، وخليفة بن خياط: تاريخ ابن خياط ص٤٦٦ – ٤٦٨، والجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٨٩ – ٣٠٤، وابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٥ ص٣٨ – ١٦٦، وابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص٢٤١ – ٢٦٢، وابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ص١٧١ – ١٧٤، وشاكر مصطفى: دولة بني العباس جـ١ ص٤٣٤ – ٤٥٠، وكالة المطبوعات – الكويت، الطبعة الأولى ١٩٧٣م، ود. عبد المنعم ماجد: العصر العباسي الأول ص٢٩٢ – ٣٠٥، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٣م، وغيرهم.

وهكذا انتهت هذه المأساة الأليمة بين محمد الأمين وأخيه عبد الله المأمون بانتصار المأمون ودخول جند هرثمة وطاهر بغداد.

وبعد هذا العرض السريع للصراع بين الأمين والمأمون، يتبين لنا أن بني سهل كان لهم دور كبير فيه، ويتحملون التبعة الكبرى لهذه المأساة الأليمة وعلى رأسهم الفضل بن سهل وزير المأمون، والذي زين له الخروج إلى خراسان، والإقامة فيها حتى يكون بعيدًا عن سيطرة الأمين[١]، وعندما بدأ النزاع بين الأمين والمأمون، أخذ الفضل يسهل على المأمون مسلك أخيه الأمين تجاهه، ويبين له قوة مركزه[٢]، ومنعه من محاولة اللحاق بقوات أبيه الرشيد التي لم تنفذ وصيته وسارت إلى بغداد، وخوفه من عاقبة هذا العمل بقوله: «إن فعلت ذلك لم آمن أن ينقضوا عليك ويجعلوك هدية إلى محمد الأمين[٣]، وشجعه على الاستقرار والإقامة في خراسان بين أهله وعشيرته مؤكدًا له نجاحه في الوصول إلى الخلافة[٤]، وأشار عليه بأن يدعو الفقهاء إلى إقرار الحق والعمل به، وإجراء السنة، وأن يقوم بنفسه برد المظالم ليكسب بذلك ولاء أهل خراسان بقوله: «قد قرأت القرآن، وفهمت أمر الدين، والرأي أن نجمع الفقهاء وندعوهم إلى الحق والعمل به، وإحياء السنة ... وأن تواصل النظر في المظالم، وتكرم القواد

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٣٨.

(٢) نفس المصدر السابق ص٣٧١ – ٣٧٢.

(٣) الطبري: نفس المصدر السابق ص٣٧١، والجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٧٧.

(٤) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢٧٨.

والملوك وأبناء الملوك» ففعل ذلك[١].

ونجح الفضل في جذب أهل خراسان إلى مساندة المأمون، وكون له فيهم جبهة قوية تقف بجانبه ضد أخيه الأمين[٢]، كما أشار الفضل على المأمون بعدم الذهاب إلى بغداد حين استدعاه الأمين ليقر على نفسه بالخلع من ولاية العهد، وقال له: «أنت هنا نازل بين أخوالك وبيعتك في أعناقهم»[٣]، ثم حمله على رفض كل مطالب الأمين، فحرّضه على الامتناع عن التنازل عن حقه في ولاية العهد لما طلب الأمين التنازل لابنه موسى بعد أن كاد المأمون يجيبه[٤].

وكذلك حرّض الفضل المأمون عن عدم التنازل عن بعض كور خراسان، كما طلب منه الأمين وأمر بسد الطرق والمنافذ المؤدية إليها، وعين عليها من يثق فيهم من جنوده[٥]، كما كان الفضل المدير والمرسل لكل الجيوش التي قضت على الأمين، وجعلت المأمون ينفرد بالخلافة[٦].

---

(١) نفس المصدر السابق ص٢٧٨ – ٢٧٩.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٧٢، وابن خلدون: العبر جـ٣ ص٢٣١.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٧٢ – ٣٧٥.

(٤) نفس المصدر السابق والصفحات، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٧٦.

(٥) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٣٧٧ – ٣٨٠، وابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٢٣٠.

(٦) د. حسن محمود، والشريف: العالم الإسلامي في العصر العباسي ص١١٠، الطبعة الثالثة، دار الفكر العربي ١٩٧٧م.

المبحث الثالث

ازدياد نفوذ بني سهل في خلافة المأمون

أولا: سيطرة الفضل بن سهل على أمور الدولة:

علت منزلة الفضل بن سهل عند المأمون، وأصبح له مكانة عظيمة لديه إثر نجاحه في انتصاره على الأمين، وتوليه الخلافة، فقد أدرك المأمون حسن تقدير الفضل للأمور، وما أبداه من آراء سديدة كان لها أثر كبير في سير المعركة لصالحه، فدعاه وعقد له على المشرق من جبل همذان إلى جبل مسقينان والتبت طولاً، ومن بحر فارس والهند إلى بحر الديلم وجرجان عرضًا، وجعل عمالته ثلاثة آلاف ألف درهم، وذلك في شهر رجب سنة ١٩٦هـ(١)، وسماه ذا الرياستين، أي: رياسة الحرب، ورياسة التدبير(٢).

ولم يكتف المأمون بذلك، بل وقع له توقيعًا بخطه توكيدًا لسلطته ودليلاً على مدى إجلاله له واعترافه بفضله، بدأه بقوله: «أغنيت يا فضل بن سهل بمعاونتك إياي على طاعة الله وإقامة سلطاني، فرأيت أن أغنيك، وسبقت الناس من الحاضر كان لي والغائب كان عني، فأحببت أن أسبق لك بخطي بما رأيته على نفسي، وأن أسأل الله تمامه، فإن حولي وقوتي، ومقدرتي، وقبض وسطي به لا شريك له،

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٤٢٤، وأبو المحاسن: النجوم الزاهرة جـ٢ ص١٥١.

(٢) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٣٠٥ – ٣٠٦، ويقول الجهشياري عن هذا التلقيب: «وكان الفضل يؤمر مع الوزارة، وهو أول وزير لُقِّب، وأول وزير اجتمع له اللقب والتأمير».

وقد أعطيتك «السيب» بأرض العراق على حيازة تميم - مولى أمير المؤمنين - عطاءًا لك ولعقبك لما أنت عليه من النزاهة عن أموال رعيتي، ولما قمت به من حق الله وحقي، فلم تأخذك في لومة لائم، ولم تراقب ذا سلطان، وقد جعلت لك بعد ذلك مرتبة من يقول في كل شيء فيسمع منه، ولا يتقدمك مرتبة أحد ما لزمت ما أمرتك به من العمل لله ولنبيه، والقيام بصلاح دولة أنت ولي بقيامها، وجعلت ذلك كله بشهادة الله، وجعلته كفيلاً على عهدي، وكتب بخطي سنة ست وتسعين ومائة»[1].

وقد بلغ من تكريم المأمون لوزيره الفضل بن سهل أن عقد له لواءًا على سنان ذي شعبتين[2]، وأعطاه علمًا كتب عليه لقبه[3]، ومنح أخاه الحسن بن سهل بعض التفويضات، وولاه ديوان الخراج[4].

كما بلغ من مكانة الفضل لدي المأمون ما ذكره بعض المؤرخين[5] من أن

---

(١) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٣٠٥ - ٣٠٦.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٤٢، وابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٢٥٧.

(٣) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٣٠٥ - ٣٠٦.

(٤) كان ذلك أول منصب يتقلده الحسن بن سهل إلى أن قتل محمد الأمين فولاه المأمون العراق، وكتب إلى طاهر بن الحسين بتسليمه ما افتتحه من البلاد بما في ذلك الحجاز، واليمن. الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٥٢٧، والجهشياري: الوزراء والكتاب ص٣٠٥.

(٥) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٣٠٧، ود. العمرو (علي عبد الرحمن): أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول ص٣٢٧، الطبعة الأولى، مطبعة الدجوي - مصر ١٩٧٩م.

المأمون قد عرض على الفضل أن يزوجه إحدى بناته، وألح عليه في ذلك، ولكن الفضل استكثر هذا التكريم واعتذر.

ولكني لا أميل إلى ما ذكره هؤلاء المؤرخون، فليس من المعقول أن يرفض الفضل بن سهل زواجه من ابنة المأمون وهي ابنة أشرف بيت في الإسلام، وابنة الخليفة مولاه وسيده وصاحب أمره، ولا ننسى أنها عربية، والعرب مهما يكن من أمرهم أصحاب الدعوة، وكان الفرس لا يزالون يتقربون إليهم.

ومهما يكن من شيء فإن الفضل بن سهل قد سيطر على الدولة العباسية في بداية خلافة المأمون، وتغنّى بفضله وأمجاده الشعراء[1]، كما سيطر على المأمون وغلب عليه[2]، وكان المأمون لا يرد له أمرًا، وكان مقصد رسل الملوك الذين كانوا يفدون على ديوانه مزودين بالهدايا، فيتشاورون عنده في كيفية تقديمها وتوزيعها، ولم يتخل الفضل عن نزعته الفارسية، فعمد إلى بعث القومية

(١) وفي هذا يقول الشاعر التميمي عبد الله بن أيوب:

لعمرك ما الأشراف في كل بلدة	وإن عظموا إلا لفضل صنائع
ترى عظماء الناس للفضل خُشّعا	إذا ما دنا والفضل لله خاشع
تواضع لما زاده الله رفعة	وكل جليل عنده متواضع

الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٣٢٠، والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٢ ص٣٤١، وابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٤ ص٤٣.

(٢) يقول الجهشياري: «ولما استقامت الأمور للمأمون رد التدبير إلى ذي الرياستين، وأمضاها على رأيه». والوزراء والكتاب ص٣٠٥، ويقول الخطيب البغدادي: «وغلب – أي الفضل – على المأمون». تاريخ بغداد جـ١٢ ص٣٤٠، ويقول ابن الجوزي: «وإنه – الفضل – يبرم الأمور على هواه، ويستبد بالرأي دونه». المنتظم في تاريخ الملوك والأمم جـ١٠ ص٧٣، ٧٤.

الفارسية، وكان من مظاهر تقليده للساسانيين الفرس ما يرويه الجهشياري[١]: «أن ذا الرياستين – الفضل بن سهل – كان يجلس على كرسي مجنح، ويحمل فيه إذا أراد الدخول على الخليفة المأمون، فلا يزال يُحمل حتى تقع بين المأمون عليه، فإذا وقعت وضع الكرسي، ونزل عنه، فمشى، وحمل الكرسي حتى يوضع بين يدي المأمون، ثم يسلم ذو الرياستين ويعود فيقعد عليه»، ويعلق الجهشياري[٢] على ذلك بقوله: «وإنما ذهب ذو الرياستين في ذلك مذهب الأكاسرة، فإن وزيرًا من وزرائها كان يحمل في مثل ذلك الكرسي، ويقعد بين أيديهم عليه، ويتولى حمله إثنا عشر رجلاً من أولاد الملوك».

وقد ظلت هذه النزعة الفارسية مسيطرة على الفضل بن سهل طوال فترة إقامة المأمون في خراسان، وظهرت بوضوح عندما خص أقاربه وأعوانه بالمناصب الكبرى في الدولة، وأبعد العنصر العربي[٣].

وكان من الطبيعي أن تثير هذه النزعة الفارسية من الفضل سخط العناصر العربية عليه وعلى المأمون، فقامت الثورات ضد المأمون لتقديمه العنصر الفارسي على العربي، وكانت أولى هذه الثورات ثورة نصر بن شبث العُقيلي[٤]

---

(١) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٣١٦.

(٢) الوزراء والكتاب ص٣١٦.

(٣) اليعقوبي: تاريخه جـ٢ ص٤٤٥ – ٤٤٦، الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٥٢٧، وابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص١١٠.

(٤) نصر بن شبث العُقيلي، من بني عقيل بن كعب بن ربيعة، خرج على المأمون لتقديمه العنصر الفارسي، حتى تمكن عبد الله بن طاهر من القبض عليه سنة ٢٠٩هـ. ابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٣٨٨، والزركلي: الأعلام جـ٨ ص٢٣ – ٢٤.

سنة ١٩٨هـ الذي زادت نقمته بعد انتصار المأمون على الأمين[١]، فقد رفض بيعة المأمون وثار في نواحي كيسوم[٢]، وتغلب على ما جاورها من البلاد، والتف حوله كثير من العرب[٣]، وقد كلف المأمون طاهر بن الحسين بحربه حتى سنة ٢٠٤هـ ومن بعده ابنه عبد الله بن طاهر[٤] الذي تمكن من محاصرة نصر سنة

---

(١) د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي جـ٢ ص٦٩، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة الأولى ١٩٨٣م، ومحمود شاكر: التاريخ الإسلامي جـ٥ ص٢٠٥، المكتب الإسلامي – بيروت، ط٣ سنة ١٩٨٧م، د. أحمد شلبي: موسوعة التاريخ الإسلامي جـ٣ ص١٧٥، الطبعة السادسة، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٧م.

(٢) كيسوم: قرية من أعمال سميساط، وفيها حصن كبير. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع جـ٣ ص١١٩٢.

(٣) يذكر بعض المؤرخين أن بعض الطالبيين قد حاولوا أن يتقربوا إلى نصر هذا، لكنه رفض وقال: «أنا أبايع بعض أولاد السوداوات، فيقول: إنه خلقني، ورزقني؟ فقالوا: فبايع لبعض بني أمية، فقال: أولئك قد أدبر أمرهم، والمدبر لا يُقبل أبداً، ولو سلّم عليّ رجل مدبر لأعداني إدباره وإنما هواي في بني العباس، وإنما حاربتهم محاماة على العرب لأنهم يقدمون عليهم العجم». ابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٢٩٧، ٢٩٨، ٣٠٨، وابن خلدون: العبر جـ٣ ص٤٢١.

(٤) عبد الله بن طاهر بن الحسين بن مصعب بن زريعة الخزاعي بالولاء، كان من أشهر الولاة في العصر العباسي، ولي إمرة الشام مدة، ونقل إلى مصر سنة ٢١١هـ فأقام بها سنة، ثم نقل إلى الدينور، ثم ولاه المأمون خراسان، فظهرت كفاءته، فكانت له طبرستان وكرمان، وخراسان والري، وما يتصل بذلك من الأطراف، واستمر إلى أن توفي ببلدة نيسابور سنة ٢٣٠هـ، وقد أعجب المؤرخون بأعماله، وللشعراء فيه مدائح كثيرة، وكان المأمون كثير الاعتماد =

٢٠٩هـ، وسلمه للمأمون[١].

وإلى جانب ثورة نصر هذه، قامت ثورات أخرى ضد المأمون لتفضيله العنصر الفارسي على العربي، وإتاحته الفرصة للفضل بن سهل للسيطرة على جميع أمور الدولة – وسوف يأتي الحديث عن هذه الثورات كل في موضوعه من هذا البحث إن شاء الله.

أراد الفضل بن سهل أن يستفيد من نفوذ كلمته، واستبداده بالأمر في دولة المأمون، فزين له البيعة لعلي الرضا[٢] بالخلافة من بعده، تلك البيعة التي أحدثت دويًا عظيمًا في أرجاء الدولة الإسلامية، وكان لبني سهل فيها دور كبير.

وقبل أن أتعرض للحديث عن هذا الدور، يجدر بي أولاً أن أوضح كيف تمت هذه البيعة، والظروف والملابسات التي أحاطت بها، والدوافع التي جعلت الخليفة المأمون يُقدم عليها.

= عليه. الطبري: تاريخ جـ٩ ص١٣١، والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ٩ ص٤٨٣، وابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٨٢، وابن كثير: البداية جـ٥ ص٨٤٨.

(١) ابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٢١١، ٣٨٨، ٣٨٩، وابن خلدون: العبر جـ٣ ص٤٢١.

(٢) هو علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن علي بن أبي طالب، أبو الحسن الرضا، ولد سنة ١٥٣هـ بالمدينة المنورة، وأخذ العلم عن والده وعمومته، وكان يُفتي في مسجد رسول الله ﷺ وهو ابن نيف وعشرين سنة، وتوفي آخر صفر بمدينة طوس ودفن بها في آخر صفر سنة ٢٠٣هـ. راجع ترجمته عند: الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص٥٦١ – ٥٧٣، مكتبة الحلبي – مصر ١٩٤٩م، وابن الجوزي: المنتظم جـ١٠ ص١١٩ – ١٢٠، وابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٣ ص٢٧٠، وابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص٣٢٨.

ثانيًا: بيعة المأمون لعلي الرضا بولاية العهد..

ودور بني سهل فيها:

تذكر المصادر التاريخية أن الخليفة المأمون في سنة ٢٠٠هـ، أرسل جماعة من خاصته منهم رجاء بن أبي الضحاك [١] – أحد أقارب الفضل بن سهل –، وياسر الخادم[٢] لإحضار علي الرضا ومعه بعض آل أبي طالب من المدينة المنورة[٣]، وجيء بهم فعلاً إلى مرو، فاستقبلهم المأمون في قصره، واحتفل بهم، وخص عليًا برعايته وعطفه، وأفرد له منزلاً خاصًا به[٤].

ثم بعث المأمون في طلب الفضل بن سهل وأخيه الحسن، وأسرَّ إليهما عزمه على تولية الرضا عهده[٥]، وقد اختلف الأخوان في الرأي: فيشير

---

(١) رجاء بن أبي الضحاك الجرجاني، أحد عمال الدولة العباسية، ولي ديوان الخراج في عهد المأمون، ثم ولي خراج دمشق في عهد المعتصم، وخراج الأردن في عهد الواثق، قتل في دمشق سنة ٢٢٦هـ بتدبير من علي بن إسحاق عامل الواثق على دمشق. الطبري: تاريخ جـ١ ص١٦، وابن عساكر: تهذيب تاريخ دمشق جـ٥ ص٣٩٠، تحقيق عبد القادر بدران، دار المسيرة – بيروت (د. ت.).

(٢) المسعودي: مروج الذهب ص٤٤٠، ولم أعثر له على ترجمة فيما هو تحت يدي من مصادر.

(٣) اليعقوبي: تاريخه جـ٢ ص٤٤٨، وابن العمراني: الأنباء في تاريخ الخلفاء ص٩٨، تحقيق: د. قاسم السامرائي، دار العلوم – الرياض ١٩٨٢م.

(٤) الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص٥٦٢، وابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٣ ص٢٧٠.

(٥) ويبدو لي أن هذا من تخطيط الفضل بن سهل ليظهر أن المأمون هو الذي يريد ذلك.

الأصفهاني[1] إلى أن الحسن بن سهل قاوم تلك الفكرة أشد مقاومة، وحذر المأمون مغبة الأخذ بهذه السياسة، لما فيها من تحويل الخلافة إلى العلويين، لكن المأمون أصر على ذلك بقوله: «إني عاهدت الله إن ظفرت بالمخلوع – يعني أخاه الأمين – أخرجت الخلافة إلى أفضل آل أبي طالب، وما أعلم أحدا أفضل من هذا الرجل»، وقد وافقه الفضل على ذلك.

ثم طلب المأمون نعيم بن حازم لمشاورته، لأنه من وجوه الناس، وله سابقة ورياسة، فأحضره الفضل، فعرفه المأمون بما عزم عليه، ورغّبه فيه، وذكّره ما يلزم من الانقياد له، فأبى نعيم وبين خطورة تحويل الخلافة من العباسيين إلى العلويين فكلمه الفضل كلامًا يجمع بين اللين والغلظة، فقال له نعيم مبينًا سبب حرصه – أي الفضل – على هذه البيعة:

«إنك إنما تريد أن تزيل الملك عن بني العباس إلى ولد علي، ثم تختال عليهم فتصيّر الملك كسرويًا، ولولا أنك أردت ذلك لما عدلت عن لبسة علي وولده – البياض – إلى الخضرة، وهي لباس كسرى والمجوس ...»[2]، ثم أقبل نعيم على المأمون وقال له: «الله الله يا أمير المؤمنين لا يخدعنك عن دينك وملكك، فإن أهل خراسان لا يجيبون إلى بيعة رجل تقطر سيوفهم من دمه ...»، فأمره المأمون بالإنصراف، ولم يظهر له غضبًا، ثم شاور فيه الفضل – صاحب الكلمة العليا في الدولة – فأشار عليه بإخراجه من خراسان، فذهب إلى بغداد[3].

وبعد الاستقرار على أمر البيعة للرضا أرسل إليه المأمون الحسن، والفضل

---

(١) مقاتل الطالبين ص٥٦٢ – ٥٦٣.

(٢) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٣١٢ – ٣١٣.

(٣) نفس المصدر السابق ص٣١٤ – ٣١٥.

لعرضها عليه فرفضها، فهدداه وحذراه من عاقبة الرفض، ومن غضب المأمون، فوافق مرغمًا[١].

وحاول علي الرضا الامتناع عن قبول البيعة مرة ثانية عند المأمون، وقال له: «يا أمير المؤمنين، إن هذا الأمر لا يتم فاعفني عنه»[٢]، فهدده المأمون أيضًا وقال له: «إن عمر بن الخطاب ﷺ جعل الشورى في ستة ...»، وقال: «من خالف فاضربوا عنقه، ولا بد من قبول ذلك»[٣].

أذعن علي الرضا لرأي الخليفة كارهًا هذا الأمر[٤]، واشترط على الخليفة عدة شروط مقابل قبوله لولاية العهد بقوله: «إني أدخل في ولاية العهد على ألا آمر، ولا أنهي، ولا أقضي، ولا أغير شيئًا مما هو قائم، وتعفني من ذلك كله»[٥].

---

(١) الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص٥٦٣.

(٢) ابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء ص٨٩.

(٣) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص٥٦٣، وربما كانت أسباب رفض الرضا في بداية الأمر أن ولاية العهد في بني العباس كانت غير مستقرة منذ قيام دولتهم، فكيف تستقر له وهو العلوي ومن غير ولد العباس؟، وكذلك بسبب ما أصاب والده موسى الكاظم من تعذيب وسجن على يد الخليفة المهدي، ثم الرشيد من بعده، حتى توفي وهو في السجن سنة ١٧٩هـ، هذا بالإضافة إلى أن العلويين عمومًا كانوا لا يثقون في بني عمومتهم العباسيين منذ انفرادهم بالدولة. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٣ ص٢٧ – ٣٢، وابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٥ ص٣٠٨ – ٣١٠، والزركلي: الأعلام جـ٧ ص٣٢١.

(٤) ابن طباطبا: الفخري ص٢١٧.

(٥) ابن بابوية: عيون أخبار الرضا ص١٤٨، وقد أفصح علي الرضا عن عدم رضائه عن ذلك وقبوله هذا الأمر – وهو مجبر عليه – في مشاورة له مع المقربين إليه=

ثم أعلن الفضل بن سهل نيابة عن الخليفة المأمون[(١)] في مجمع حافل من الأشراف والأمراء، ورجال الدولة اختيار المأمون لعلي بن موسى الكاظم وليًّا لعهده، وسماه: «الرضا»[(٢)]، وأمرهم بلبس الخضرة والعودة لبيعته على أن يأخذوا رزق سنة، ثم أقيم احتفال كبير حضره القواد والقضاه، وغيرهم، أقر فيه المأمون بيعة الرضا[(٣)] الذي خطب في الحاضرين بناء على طلب المأمون قائلاً بعد أن حمد الله وأثنى عليه: «إن لنا عليكم حقًا برسول الله، ولكم علينا حق به، فإذا أديتم إلينا ذلك وجب علينا الحق لكم»[(٤)]، ولم يذكر غير هذا، ثم قام الخطباء والشعراء فجعلوا يذكرون فضل علي بن موسى وما كان من أمر المأمون معه على حدّ قول الأصفهاني[(٥)]، ثم وزعت الجوائز والخلع على كبار رجال الدولة، وعلى الشعراء الذين أشادوا بفضائل علي الرضا، وامتدحوا المأمون[(٦)]، وتمت بذلك مبايعة علي بن موسى بولاية العهد تحت إلحاح المأمون بخراسان في رمضان عام ٢٠١هـ[(٧)]، ووافق على تلك البيعة من حضر من العباسيين،

= بقوله: «قد علم الله كراهتي لذلك، فلما خيّرت بين قبوله وبين القتل، اخترت القبول على القتل». نفس المصدر السابق ص١٣٨.

(١) ولعل هذا يدل على حرص الفضل بن سهل على البيعة لعلي الرضا بالخلافة.

(٢) الأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص٥٦٣.

(٣) نفس المصدر السابق ص٥٦٣ - ٥٦٤.

(٤) نفس المصدر السابق والصفحات.

(٥) نفس المصدر السابق ص٥٦٤.

(٦) ابن بابويه: عيون أخبار الرضا ص١٤٨، د. حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام السياسي جـ٢ ص١٨٦.

(٧) اليعقوبي: تاريخه جـ٢ ص٤٤٨.

والعلويين، والجند، والقواد(١)، ولقبه الخليفة «الرضا من آل محمد ﷺ»(٢)، وأمر بضرب اسمه على الدنانير والدراهم، والدعاء له على المنابر بعده(٣)، وكتب بذلك كتابًا بخط يده جاء فيه: «هذا كتاب كتبه عبد الله بن هارون الرشيد أمير المؤمنين بيده، لعلي بن موسى بن جعفر ولي عهده»(٤)، ثم رد علي الرضا على الكتاب مبينًا قبوله لولاية العهد(٥)، وأشهد على ذلك الشهود(٦)، ومنهم أمير المؤمنين المأمون، والفضل بن سهل، ويحيى بن أكثم(٧)، وعبد الله بن طاهر، وغيرهم، ثم

---

(١) يشير خليفة بن خياط في تاريخه (جـ٢ ص٥٠٨) إلى أن المأمون خلع أخاه القاسم بن هارون من ولاية العهد عند مبايعته لعلي الرضا.

(٢) الطبري: تاريخ جـ٨ ص٢٠١، وابن طباطبا: الفخري ص٢١٧.

(٣) اليعقوبي: تاريخه جـ٢ ص٤٤٨، والمسعودي: مروج الذهب جـ٣ ص٤٤١، والأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص٥٦٥.

(٤) انظر نص الكتاب في: ابن الجوزي: المنتظم جـ١٠ ص٩٤ – ٩٧، والقلقشندي: صبح الأعشى جـ٩ ص٣٦٥، نشر وزارة الثقافة والإرشاد – مصر (د. ت.).

(٥) ابن الجوزي: المنتظم جـ١٠ ص٩٨.

(٦) ويشير ابن طباطبا في كتابه: الفخري في الآداب السلطانية ص٢١٧ إلى أن علي الرضا وضع خطّه في ظاهر كتاب المأمون بما معناه أني قد أجبت امتثالاً للأمر وإن كان الجفر، والجامعة يدلان على ضد ذلك (والجفر، والجامعة كتابان للشيعة). انظر: الصفاد (أبو جعفر محمد بن الحسن): بصائر الدرجات ص١٧٢، مؤسسة العلى – طهران، الطبعة الأولى.

(٧) يحيى بن أكثم بن محمد بن قطن الأسيدي، المروزي، أبو محمد، قاض رفيع القدر، من نبلاء الفقهاء، ويتصل نسبة بأكثم بن صيفي حكيم العرب، ولد بـ «مرو» واتصل بالمأمون أيام مقامه بها، فولاه قضاء البصرة سنة ٢٠٢هـ، ثم قاضي القضاة ببغداد، وأضاف إليه تدبير دولته، وغلب على المأمون حتى لم يتقدمه عنده أحد، وله غزوات ضد الروم سنة ٢١٦هـ، عزله المعتصم عن القضاء، ورده =

أمر الخليفة بأن يقرأ نص البيعة في المدينة المنورة قرب قبر الرسول بين الروضة والمنبر بحضور الهاشميين[١].

وفي سبيل تأكيد هذه البيعة أمر المأمون بطرح السواد – شعار العباسيين – واستبدل الخضرة به في اللباس، والأعلام، وغير ذلك[٢]، وبذلك يكون قد تخلى عن السواد – شعار العباسيين –، وعن البياض – شعار العلويين –، وربما كان هذا لأن اللون الأخضر يوصف بأنه لباس كسرى والمجوس، مما يرجح أنه كان للفضل بن سهل دور في اختيار هذا اللون.

ولتوثيق الروابط بينه وبين علي الرضا زوج المأمون ابنته أم حبيب لعلي عام ٢٠٢هـ، كما زوج ابنه محمد بإبنته الأخرى أم الفضل[٣].

وهكذا تمت البيعة لعلي الرضا بالخلافة، وكان ذلك في رمضان عام

= المتوكل ثم عزله سنة ٢٤٠هـ، فعزم على المقام بمكة، فلما كان بالربذة توفي بها سنة ٢٤٢هـ. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٤ ص١٩١ – ٢٠٤، وابن الأثير: الكامل جـ٦ ص١٢٧، والذهبي: تاريخ الإسلام جـ٧ ص٣٣٩، والزركلي: الأعلام جـ٨ ص١٣٨.

(١) القلقشندي: مآثر الإناقة في معالم الخلافة جـ٢ ص٣٣٥ – ٣٣٦، تحقيق: عبد الستار أحمد فراج، عالم الكتب – بيروت (د. ت.).

(٢) خليفة بن خياط: تاريخ ص٤٧٠، والطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٥٥٤، والخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٠ ص١٨٤، وابن العمراني: الإنباء في تاريخ الخلفاء ص٩٨، وابن طباطبا: الفخري ص٢١٧.

(٣) المسعودي: مروج الذهب جـ٣ ص٤٤١، والأصفهاني: مقاتل الطالبيين ص٥٦٥، وابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٢٤٩، ولم يكن هذا الزواج من وجهة نظري من باب تأكيد بيعة الرضا بقدر ما هو حب وتقدير من المأمون للرضا وابنه.

٢٠١هـ، فما هي الدوافع التي حملت المأمون على ذلك؟.

دوافع بيعة المأمون لعلي الرضا:

اختلفت أراء المؤرخين القدامى والمحدثين حول تلك الدوافع:

فمنهم من أرجعها إلى النفوذ الفارسي الذي بدا واضحًا في عصر هذا الخليفة، ومنهم من أرجعها إلى تشيّع المأمون، وميله للعلويين، ومنهم من اعتبرها مكافأة من المأمون للعلويين ورد الجميل إليهم، ومنهم من أرجعها إلى سياسة التوفيق التي حاول المأمون انتهاجها مع العلويين ومحاولته احتواء ثوراتهم، ومنهم من أرجعها إلى صفات الرضا التي تؤهله للخلافة، ومنهم من رأى أن تبني المأمون لفكرة الاعتزال هي التي دفعته إلى ذلك، واعتبرها بعضهم محاولة من المأمون لصرف الناس عما كانوا يتكلمون فيه من قتل الخليفة الأمين، وأنها من حرب الإشاعات، كما اعتبرها آخرون محاولة من المأمون لكسب العنصر العربي إلى صفه.

ولكي يتبين للقارئ ذلك كله بجلاء يجدر بي إلقاء الضوء على هذه الأسباب:

١- النفوذ الفارسي:

كان الفرس يميلون إلى أن يكون خليفة المسلمين علويًا، وكثيرًا ما قاتلوا في هذا السبيل، وناصروا أبناء علي بن أبي طالب[1]، وكان المأمون نفسه قد نشأ

(١) محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدول العربية الإسلامية ص٢٠٦.

في بيئة فارسية، فأمه «مراجل» فارسية الأصل[١]، وأشرف على تربيته في بادئ الأمر جعفر بن يحيى البرمكي، ثم انتقل إلى الفضل بن سهل وهما فارسيان[٢] ويجري التشيع في عروقهما، ومن ثم بدا تأثير العنصر الفارسي واضحًا في تصرفات المأمون، وظهر تأثره بالبيئة التي عاش فيها واضحًا، خاصة بعد أن اتخذ من مرو عاصمة خراسان قاعدة لخلافته في بداية عهده[٣]، وظل مقيمًا فيها نحو أربع سنوات وسط أهلها من الموالي والفرس الذين اشتهروا بميلهم إلى العلويين، واتخاذهم التشيع مذهبًا لهم[٤].

ولقد فسّر نعيم بن حازم هذا التصرف من الفضل بن سهل بقوله: «إنما تريد أن تزيل الملك عن بني العباس إلى ولد «علي»، ثم تحتال عليهم فتصير الملك كسرويًا، ولولا أنك أردت ذلك لما عدلت عن لبسه علي وولده، وهي البياض إلى الخضرة، وهي لباس كسرى والمجوس»[٥].

ومن ثم زين هؤلاء الفرس للمأمون البيعة لعلي الرضا، وقد صادف ذلك هوىً لدى المأمون الذي طبعه ميل للعلويين.

---

(١) د. العبادي: في التاريخ العباسي والفاطمي ص١٠٣، دار النهضة العربية بيروت ١٩٧١م.

(٢) الخضري: محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية جـ٢ ص١٨١، المكتبة التجارية – مصر ١٩٧٠م.

(٣) سيد أمير علي: مختصر تاريخ العرب ص٢٦، نقله إلى العربية: عفيف البعليكي، ط٣، دار العلم للملايين – بيروت ١٩٧٧م.

(٤) محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدول العربية الإسلامية ص٢٠٦.

(٥) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٣١٢ – ٣١٣.

٢- ميل المأمون إلى العلويين:

ذهب بعض المؤرخين إلى القول بأن الخليفة المأمون كان مخلصًا في تودده للعلويين، جادًا في تولية علي الرضا عهده، وأن الذي دفعه إلى ذلك هو تشيعه الذي حمله على خلع أخيه المؤتمن من ولاية العهد، والعهد بها إلى علي الرضا، بل لقد بلغ من إفراطه في التشيع أنه قد هم بخلع نفسه من الخلافة وتفويض الأمر إلى علي الرضا المذكور(١).

وقد استدل هؤلاء على صحة قولهم بما كان يراه المأمون من أن عليًا ﷺ أفضل الخلق بعد النبي ﷺ، وأولى الناس بالخلافة من بعده(٢)، وأنه بعد مناظرة بين المأمون وبعض الفقهاء في عصره قال المأمون: «اللهم إني أدينك بالتقرب إليك بحب علي وولايته»(٣)، وأنه أمر مناديه سنة ٢١١هـ بأن ينادي: «برئت الذمة ممن يذكر معاوية بخير(٤)، أو يترحم عليه، أو يفضله على أحد الصحابة»(٥)، كما أن المأمون قد قرب عليًا عقب توليه العهد، واستشاره في كثير من الأمور، وأجزل له العطايا، وفي ذلك يشير ابن خلكان إلى أن المأمون قال

---

(١) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٨٥، والقرماني: أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ جـ٢ ص٩٧، الطبعة الأولى، عالم الكتب – بيروت ١٩٩٢م.

(٢) السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٨٦، عبد الملك بن حسين: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي جـ٣ ص٣١٦، المطبعة السلفية – مصر (د. ت.).

(٣) ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ٥ ص٣١٨، تحقيق: محمد سعيد عريان، دار الفكر – مصر (د. ت.).

(٤) المصدر السابق ص٣٢٦، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٨٦.

(٥) المقدسي: البدء والتاريخ م٢ جـ٦ ص١١٢، مكتبة الثقافة – مصر (د. ت.)، وابن شاكر الكتبي: فوات الوفيات جـ٢ ص٢٣٨.

يومًا لعلي الرضا: «ما يقول بني أبيك في جدنا العباس بن عبد المطلب؟»، فقال علي الرضا: «ما تقولون في رجل فرض الله طاعة نبيه على خلفه، وفرض طاعته على نبيه»، فأمر له بألف ألف درهم[1].

يضاف إلى ما تقدم أن المأمون قد أوصى قبيل وفاته أخاه المعتصم [2] بالعلويين، وقال له: «يا أبا إسحاق، عليك عهد الله وميثاقه وذمة رسول الله ﷺ، لتقومن بحق الله في عباده، ولتؤثرن طاعته على معصيته إذا أنا نقلتها من غير إليك»، قال المعتصم: «اللهم نعم»، قال: «هؤلاء بنو عمك من ولد أمير المؤمنين علي فأحسن صحبتهم، وتجاوز عن مسيئهم، واقبل من محسنهم، ولا تغفل صلاتهم في كل سنة عند محلها، فإن حقوقهم تجب من وجوه شتى»[3].

---

(١) وفيات الأعيان جـ٢ ص٤٣٣.

(٢) أبو إسحاق محمد بن هارون الرشيد بن المهدي العباسي، ولد سنة ١٨٠هـ، وهو ثامن الخلفاء من بني العباس، فأمه أم ولد تسمى «ماردة» لم تدرك خلافته، وكانت من أحظى الناس عند الرشيد، وقد قُلّد المعتصم الخلافة في قصر الخلد سنة ١٨٠هـ، وقيل في شهر شعبان سنة ١٧٨هـ، وكان من رجال دولة أخيه المأمون، اشتهر بالفروسية، بويع له بالخلافة بعد موت أخيه المأمون بعهد منه في شهر رجب سنة ٢١٨هـ، وفي عهده كان فتح عمورية، وتأسيس مدينة سامراء، ونقل إليها جنده من الأتراك، وهو أول من أدخلهم الديوان بعد كثرتهم في بغداد سنة ٢٢١هـ، توفي سنة ٢٢٧هـ. الصفدي: الوافي بالوفيات جـ٥ ص١٣٩، تحقيق: مجموعة من الباحثين، طبع في مطابع دار صادر – بيروت ١٩٨٢ – ١٩٨٤م، وابن العماد: شذرات الذهب جـ٢ ص٦٣، الطبعة الثانية، دار المسيرة – بيروت ١٩٧٩م.

(٣) ابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٤٣١، د. سالم: العصر العباسي الأول ص١٢٤، مؤسسة شباب الجامعة – الإسكندرية ١٣٩٨هـ.

ولقد عبّر المأمون عن ميوله للعلويين في أكثر من موقف وقفه معهم، فقد حرص على الحضور بنفسه جنائز من مات منهم، بل الصلاة على بعضهم مثل يحيى بن الحسين[١]، وإظهار الجزع على البعض الآخر مثل محمد بن جعفر[٢].

فحين مات الأخير في شعبان سنة ٢٠٣هـ دخل المأمون بين عمودي السرير فحمله حتى وضعه في لحده وقال: «هذه رحم مجفوة منذ مائتي سنة، وقضى دينه الذي كان عليه ومقداره ثلاثون ألف دينار»[٣].

ولم يفعل المأمون نظير ذلك مع أفراد البيت العباسي، فكان ينيب عنه من يشيّع جنائز بعض من مات منهم، الأمر الذي جعل زينب بنت سليمان [٤] بن علي العباسية تقول لـ «صالح» – أخي المأمون –[٥] وكان المأمون قد بعثه لحضور

---

(١) يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، سكن بغداد، وحدث عن أبيه، وروى عنه علي بن حفص بن عمر، توفي ببغداد، ودفن في مقابر قريش ببغداد، وصلى عليه الخليفة المأمون ودخل قبره. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٣ ص١٩٣.

(٢) محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. المسعودي: مروج الذهب جـ٣ ص٤٣٩.

(٣) الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ٢ ص١٥٥، وابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٣٥٦، والذهبي: سير أعلام النبلاء جـ٨ ص٤٢٦.

(٤) هي زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله العباس، وهي ابنة عم الخليفة أبي جعفر المنصور (١٣٦ – ١٥٨هـ)، وكان العباسيون يقدرونها. ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص١٦١، وابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ص٢١٩، وابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب جـ٢ ص٣.

(٥) صالح بن هارون الرشيد، أمه أم ولد يقال لها «ريم»، ولاه أخوه المأمون البصرة سنة ٢٠٤هـ، وحج بالناس سنة ٢٠٨هـ، وكان أديبًا يقول الشعر، كما كان من=

جنازة فقيدها -: «قل له: يا ابن مراجل، أما لو كان يحيى بن الحسين بن زيد لوضعت ذيلك على فيك وعدوت خلف جنازته»(١).

ولا شك أن هذا كله يدل على مدى ميل المأمون إلى العلويين وتشيُّعه لهم، مما جعله يعهد بالخلافة من بعده إلى علي الرضا.

٣- محاولة المأمون مكافأة العلويين ورد الجميل لهم:

وانطلاقًا من السبب السابق وهو ميل المأمون إلى العلويين، يرى بعض المؤرخين(٢) أن الذي حمل المأمون على ولاية العهد للرضا هو محاولته مكافأة العلويين ورد الجميل إليهم نظير ما فعله علي بن أبي طالب - كرَّم الله وجهه - بالعباسين في خلافته.

ولقد أفصح المأمون عن ذلك عندما شاورته إحدى سيدات البيت العباسي في هذا الأمر وهي زينب بنت سليمان بن علي بن عبد الله بن عباس بقولها:

«يا أمير المؤمنين، ما الذي دعاك إلى نقل الخلافة من بيتك إلى بيت علي؟»، قال: «يا عمة، إني رأيت عليًا حين ولي الخلافة أحسن إلى بني العباس:

= أحسن الناس وجهًا، توفي في شهر رمضان سنة ٢٠٩هـ، وصلى عليه المأمون وحزن عليه حيث كان يعده للأمر من بعده. ابن الجوزي: المنتظم جـ١٠ ص١٩٩ - ٢٠٠، والذهبي: تاريخ الإسلام جـ٦ ص١٣.

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٤٣٨، ٤٣٩.

(٢) ابن الجوزي: المنتظم جـ١٠ ص١٢٧ وما بعدها، وابن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية ص٢١٩ وما بعدها، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٨٦ وما بعدها، وعبد الملك بن حسين: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي جـ٣ ص٢٨٦.

فـــولى عبـــد الله[1] البصـــرة[2] وعبيـــد الله[3] الـــيمن،

---

(١) عبد الله بن العباس بن عبد المطلب، صحابي جليل، ولد بمكة ونشأ في بدء عصـر النبوة، فلازم رسول الله ﷺ، وروى عنه الأحاديث الصحيحة، تولى إمـرة الحـج سنة ٣٥هـ بأمر عثمان بن عفان ﷺ له، وشهد مع علي بن أبي طالب معركتي: الجمل وصفين، وقتال الخوارج، وولاه علي على مدينة البصرة فلم يزل عليها حتى مات علي ﷺ، ويقال إن عليًا عزله عنها قبل موته، وقد كفَّ بصـره فـي آخـر عمره، فسكن الطائف وتوفي بها سنة ٦٨هـ، وله في الصحيحين ١٦٦٠ حـديثًا، ويقال له: ترجمان القرآن الكريم. ابن كثير: البداية والنهايـة جـ٨ ص٢٩٣ – ٣٠٥، والزركلي: الأعلام جـ٤ ص٩٥.

(٢) البصرة هي المدينة العظيمة المشهورة بالعراق، وسميت بالبصرة لأن أرضها التي بين الضيق وأعلى المربد حجارة رخوة، وهو الموضع الذي يسمى الجزيرة، وهي من الأمصار التي أنشئت في عهد عمر بن الخطاب ﷺ في البناء باللبن. البلاذري فتوح البلدان ص٣٦٥ وما بعدها، والطبري: تاريخ الأمم والملـوك جـ٤ ص٢، وابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٨ ص٣١٦، وابن عبد الحق: مراصد الاطـلاع جـ١ ص٢٠١.

(٣) عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب بن عم النبي ﷺ، كان أصغر من أخيـه عبـد الله بسنه، وكان كريمًا وسيمًا يشبه أباه في الجمال، استنابه علي بن أبي طالب في خلافته على اليمن، وحج بالناس سنة ٣٦هـ، ولما صارت الخلافة إلى معاوية بن أبي سفيان، تسلط على عبد الله بن يسر بن أرطأة فقتل له ولـدين، وكـان يقـدم هو وأخوه عبد الله المدينة، فيوسعهم عبد الله علمًا، ويوسعهم عبيـد الله عطـاءًا، توفي سنة ٥٨هـ وقيل في خلافة يزيـد بـن معاويـة، وقيـل سـنة ٨٧هـ، وكانت وفاته بالمدينة المنورة، وقيل باليمن. ابن كثير: البدايـة والنهايـة جـ٨ ص٨٩ – ٩٠.

وقثّم[١] البحرين[٢]، ومعبدًا[٣] مكة[٤]، وما ترك أحدًا إلا ولاّه، وما رأيت أحدًا من أهل بيتي حين أُفضي الأمر إليهم كافأه على فعله في ولده، فأحببت أن أكافئه على إحسانه»[٥]، ثم قال:

فولي بني العباس ما اختص غيرهم
ومن منه أولى بالتكرم والمنن
فأوضح عبد الله بالبصرة المهدي
وفاض عبيد الله جودًا على اليمن

---

(١) قثّم بن العباس بن عبد المطلب، كان أشبه الناس برسول الله ﷺ، ولّي على مكة والمدينة للإمام علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه –، وشهد فتح سمرقند، واستشهد بها سنة ٥٥هـ. ابن كثير: البداية والنهاية في التاريخ جـ٨ ص٧٧.

(٢) البحرين: اسم جامع لبلاد على ساحل الخليج الفارسي بين البصرة، وعمان، واليمامة في وسط الطريق بين مكة، والبحرين بينها وبين البصرة خمسة عشر يومًا، وبينها وبين عمان مسيرة شهر. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع جـ١ ص١٦٧.

(٣) معبد بن العباس بن عبد المطلب الهاشمي، أمير، هو أخو عبد الله بن العباس، ولد في عهد النبي ﷺ، وولي الإمرة بمكة في خلافة علي بن أبي طالب، واستشهد بإفريقية في خلافة عثمان سنة ٣٥هـ أثناء غزوته مع عبد الله بن سعد ابن أبي سرح. الزركلي: الأعلام جـ٧ ص٢٦٤.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم: جـ١٠ ص١٢٨، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٨٦، وعبد الملك بن حسين: سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي جـ٣٢ ص٣١٥.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم جـ١٠ ص١٢٧، وابن طباطبا: الفخري ص٢١٩، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٦٢.

وقسَّم عمال الخلافة بينهم

فلازلت مربوطًا بهذا الشكر مرتهن[١]

فقالت له زينب: «إنك على بر أولاد علي بن أبي طالب، والأمر فيك أقدر منك على برهم والأمر فيهم[٢]، فلا تطمعن أحدًا فينا»[٣].

فقال المأمون: «يا عمة، والله ما كلمني أحد في هذا المعنى بأوقع من كلامك، ولا يكون إلا ما تحبون».

ولقد كان إقدام الخليفة المأمون سنة ٢١٠هـ على رد أرض فدك[٤] إلى ولد فاطمة دليلاً قويًا على تحيزه للعلويين، واقتناعه بحقوقهم، وتصميمه على رفع الظلم عنهم، ويشير البلاذري[٥] إلى ذلك بقوله:

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم جـ١٠ ص١٢٨.

(٢) ابن طباطبا: الفخري ص٢١٩، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٦٢، وعبد الملك بن حسين: سمط النجوم العوالي جـ٣ ص٣١٥.

(٣) ابن العماد: شذرات الذهب جـ٢ ص٣.

(٤) فدك: قرية بالحجاز بينها وبين المدينة يومان أو ثلاثة، أفاءها الله على رسوله محمد ﷺ، في عام ٧هـ، فقد صالحه أهلها على نصف الأرض بتربتها، فقبل ذلك منهم، فكان نصف فدك خالصًا لرسول الله ﷺ، لأنه لم يرجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب. انظر ما حدث بشأنها بعد وفاة الرسول ﷺ، وفي خلافتي: الأمويين والعباسيين حتى عهد المأمون، عند: البلاذري: فتوح البلدان ق١ ص٣٣ – ٣٧، نشره ووضح ملاحقه د. صلاح الدين المنجد، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦م، وياقوت الحموي: معجم البلدان جـ٦ ص٣٤٢ – ٣٤٥.

(٥) فتوح البلدان ق١ ص٣٧، ويشير ياقوت الحموي في معجم البلدان (جـ٦ ص٣٤٣) إلى أن دعبل الشاعر قال عندما علم برد المأمون أرض فدك:

أصبح وجه الزمان قد ضحكا   برد المأمون هاشم فدكا

«إن الخليفة كتب بذلك إلى قثم[1] بن جعفر – عامله على المدينة – قـائلاً: «... أما بعد .. فإن أمير المؤمنين بمكانه من ديـن الله وخلافـة رسـوله ﷺ، والقرابة به أولى من استن سنته، ونفذ أمره، وسلم لمن منحه منحةً ... وقد كان رسول الله ﷺ، أعطى فاطمة بنت رسول الله ﷺ، فدك، وتصدق بها عليها، وكان ذلك أمرًا ظاهرًا معروفًا لا اختلاف فيه بين آل رسول الله ﷺ، ولم تزل تدعى منه ما هو أولى به من صدق عليه، فرأى أمير المؤمنين أن يردهـا إلـى ورثتهـا، ويسلمها إليهم، تقربًا إلى الله تعالى بإقامة حقه وعدلـه، وإلـى رسـول الله ﷺ، بتنفيذ أمره وصدقه، فأمر بإثبات ذلك في دواوينه، والكتاب إلى عماله ...»، كمـا أوضح الخليفة في كتابه أنه كتب إلى المبارك الطبري مولى أمير المؤمنين بـرد فدك على ورثة فاطمة بنت رسول الله ﷺ، بحدودها وجميع حقوقهـا المنسـوبة إليها، وما فيها من الرقيق والغلات، وغير ذلك، وتسليمها إلى محمد بن يحيى بن الحسين بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ومحمد بن عبـد الله ابن الحسن بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، لتولية أميـر المـؤمنين إياها القيام بها لأهلها[2]، وأوصى الخليفة في نهاية كتابه عامله علـى المدينـة بحسن معاملة ولد فاطمة بقوله: «وعامل محمد بن يحيى، ومحمد بن عبد الله بما

---

(١) قثم بن جعفر بن سليمان بن علي بن عبد الله بن العباس، أمير المدينة في خلافـة المأمون، وكان له أربعون ولدًا، لما ولي المدينة عزل أبا مصعب أحمد بن أبي بكر عن القضاء، وكان فقيه أهل المدينة، واستقضى بدلاً منه أبا زيد الأنصـاري، ثـم عزل قثم وولي جعفر بن قاسم بن جعفر فولّى المأمون أبا زيد الأنصاري من قبلـه سنة ٢٠٤هـ، ابن حزم، جمهرة أنساب العرب ص٣٤.

(٢) البلاذري: فتوح البلدان ق١ ص٣٨، وياقوت الحمـوي: معجـم البلـدان جـ٦ ص٣٤٥.

كنت تعامل به المبارك الطبري، وعيّنهما على ما فيه عمارتها، ومصلحتها، ووفور غلاتها»[١].

وعلى الرغم مما ذكره المؤرخون من روايات وأدلة حول هذا السبب المذكور، واعتباره دافعًا قويًا للمأمون لكي يعهد بالخلافة من بعده إلى علي الرضا، إلا أني لا أجد في نفسي ميلاً إلى قبول ذلك، فليس من المعقول أن تنتقل الخلافة من بيت إلى بيت دون النظر في عواقب ما سيترتب على ذلك، لأن العباسيين لم يرضوا بهذا، مما سيعمل على اتساع شقة الخلاف بينهم وبين أبناء عمومتهم، من العلويين، وسيقاتل العباسيون دون شك من أجل استرداد الخلافة – كما فعل العلويون – كلما سنحت لهم الفرصة، مما يجعل الدولة مسرحًا للصراع بين الفريقين.

٤- احتواء ثورات العلويين والقضاء على فتنهم:

ومن العوامل التي حملت المأمون على البيعة لعلي الرضا، محاولته احتواء ثورات العلويين والقضاء على فتنهم، وذلك لأن العلويين قد انتهزوا فرصة الصراع بين الأمين والمأمون، وما نتج عنه من انتشار الفوضى وعدم الاستقرار، وانتشرت ثوراتهم بشكل لم يسبق له مثيل، ولاقت هذه الثورات نجاحًا كبيرًا في الحجاز والعراق واليمن، وذلك لضعف السلطة في هذه الأقاليم بعد أن قرر المأمون الإقامة في مرو.

ففي العاشر من شهر جمادى الآخرة سنة ١٩٩هـ ثار أبو السرايا[٢] في

---

(١) البلاذري: فتوح البلدان ق١ ص٣٨.

(٢) السري بن منصور الشيباني: ثائر شجاع من ولد هانئ بن قبيصة الشيباني، كان في أول أمره وضيعًا، ثم تغير حاله وأصبح من جملة القواد، قتله الحسن بن =

مدينة الكوفة[١] داعيًا لابن طباطبا[٢] العلوي، ومن بعده لمحمد بن زيد العلوي[٣] تحت شعار الرضا من آل البيت، والعمل بالكتاب والسنة، ونجحت ثورته إلى حد كبير، واتسع نطاقها حتى دخل في طاعته البصرة، وواسط[٤]، وكثير من أقاليم العراق[٥]، واستفحل أمر أبي السرايا، فأرسل إلى المدينة محمد بن سليمان بن داود[٦] فدخلها بدون قتال، وأخذ في طرد العباسيين منها[٧] سنة ١٩٩هـ.

= سهل سنة ٢٠٠هـ. ابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص٢٤٤، والزركلي: الأعلام جـ٣ ص٨٣.

(١) الكوفة: مصر مشهور على نهر الفرات بأرض بابل من سواد العراق. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع جـ٣ ص١١٨٧.

(٢) هو محمد بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن حسن بن حسن علي بن علي ابن أبي طالب. خليفة بن خياط: تاريخه ص٤٦٨.

(٣) محمد بن محمد بن زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. خليفة بن خياط: المصدر السابق ص٤٦٩، والطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٥٢٩.

(٤) هي واسط الحجاج بن يوسف الثقفي، مدينة كانت مشهورة في العراق متوسطة الإقليم بين البصرة والكوفة، فكل واحدة منها تبعد عنها خمسين فرسخًا – أي نحو مائتين وأربعين كيلو مترًا – ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ٥ ص٣٤٧، وابن عبد الحق: مراصد الاطلاع جـ٣ ص١٤١٩.

(٥) خليفة بن خياط: تاريخه ص٤٦٨ – ٤٧٠، والطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٢٨ – ٥٣٥، وابن خلدون: العبر جـ٣ ص٢٤٢ – ٢٤٤.

(٦) محمد بن سليمان بن داود بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب. المسعودي: مروج الذهب جـ٣ ص٤٣٩.

(٧) خليفة بن خياط: تاريخه ص٤٦٩، والمقدسي: البدء والتاريخ م٢ جـ٦ ص١١٠.

كما أرسل إلى مكة الحسين بن الحسن الأفطس[١]، فدخلها وسيطر على الحجاز، وأزال كسوة العباسيين من على الكعبة، وكساها ثوبين أرسلهما أبو السرايا عليهما شعار العلويين، وأخذ ما على أساطينها من الذهب، وقلع أصحابه شبابيكها[٢]، كما سام العباسيين العذاب، وأقام لذلك دارًا خاصة عرفت بـ «دار العذاب»[٣].

ولما قُضي على ثورة أبي السرايا في الكوفة، بايع الحسين بن الأفطس في مكة علويًا آخر هو محمد بن جعفر[٤]، كما نجح أبو السرايا في ضم اليمن إليه، فلقد أرسل إليها إبراهيم بن موسى[٥] فدانت له بسهولة بعد أن فر منها واليها إسحاق بن موسى[٦] سنة ٢٠٠هـ، وقد اتبع إبراهيم بن موسى سياسة متشددة

---

(١) هو الحسين بن الحسن بن علي بن أبي طالب. المقدسي: المصدر السابق، وقيل هو محمد بن علي بن حسن بن حسين بن علي بن أبي طالب. خليفة بن خياط: تاريخه ص٤٦٩، وابن ظافر الأزدي: أخبار الدول المنقطعة ص١٥١، مكتبة الدار – المدينة المنورة ١٩٨٨م.

(٢) الطبري: تاريخ جـ٥ ص٥٣٧ – ٥٣٨، وابن الجوزي: المنتظم جـ١٠ ص٨٢، وابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٣١١، وابن خلدون: العبر جـ٣ ص٢٤٤.

(٣) الطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٣٧.

(٤) محمد بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب. المسعودي: مروج الذهب جـ٣ ص٤٣٩.

(٥) إبراهيم بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسن بن علي بن أبي طالب. المسعودي: مروج الذهب جـ٣ ص٤٣٩، والمقدسي: البدء والتاريخ مجلد ٢ جـ٦ ص١١٠.

(٦) إسحاق بن موسى بن عيسى بن محمد بن علي بن عبد الله بن العباس. ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٣١٠.

مع أهل اليمن حتى لقب بـ «الجزار»[١]، ونشبت الثورة في كل مكان منذرة بخروج الأمر من يد المأمون[٢]، ونتيجة لهذا القلق السياسي الذي أحدثه العلويون في دولة المأمون، فكر في وسيلة بها إيجاد نوع من التوفيق بين الدولة ومعارضيها من العلويين، وأن يبدأ معهم عهدًا من الاستقرار والأمان، فرأى أن أفضل وسيلة تحقق ذلك أن يشركهم معه في الحكم، فاختار علويًّا ولاه عهده ولقبه بـ «الرضا»، وأمر بلبس الخضرة، وهي شعار الجنة وأهلها ليرمز بذلك إلى المحبة والتسامح، والتوفيق، وبداية عهد جديد تسوده المودة والإخلاص بين الطرفين[٣]، وقد أتت هذه الفكرة ثمارها، فالعلويون – دون شك – بعد علمهم برغبة المأمون في ولاية العهد لعلوي سكنت نفوسهم، وهدأت ثوراتهم، وأخذوا

---

(١) سمي بـ «الجزار» لكثرة من قتل من الناس باليمن، وسبى، وأخذ الأموال. الطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٣٥ – ٥٣٦، وابن الجوزي: المنتظم جـ١٠ ص٨٣ – ٨٤، وابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٣١٠ – ٣١١، ولم يتوقف إبراهيم بن موسى عند هذا الحد، بل أرسل جيشًا من قبله إلى مكة بقيادة بعض ولد عقيل بن أبي طالب، فاعترض قافلة الحاج ببستان بني عامر، واستولى على كسوة الكعبة، ونهب أموال التجار، فأرسل المعتصم – قائد وفد الحاج – الجلودي لقتاله، فتمكن من استرداد كسوة الكعبة وبعض أموال التجار، وفرّ العقيلي إلى اليمن، وهلك بعض أصحابه في الطريق. الطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٤٠ – ٥٤١، وابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٣١٣ – ٣١٤، وابن خلدون: العبر جـ٣ ص٢٤٤.

(٢) ابن العماد: شذرات الذهب جـ٢ ص٢، راجع عن ثورات العلويين في عهد المأمون: تاريخ اليعقوبي جـ٢ ص٤٤٥، والطبري: تاريخ جـ٢ ص٥٢٨ – ٥٤٦، وابن الأثير: الكامل جـ٥ ص١٧٣ – ١٧٦.

(٣) د. عبد العزيز اللميلم: العلاقات بين العباسيين والعلويين ص١٨١، ط١، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٨٨م.

يفكرون جديًّا في الاتصال بالمأمون، والاعتراف بخلافته مقرونة بالبيعة بولاية العهد لزعيم العلويين «علي الرضا».

٥- تبني المأمون لفكرة الاعتزال:

ومن الباحثين المحدثين من رأى أن السبب الذي جعل المأمون يختار علي الرضا لولاية العهد راجع إلى الدور الذي لعبته فرقة المعتزلة، وتبني المأمون لفكرة الاعتزال[1]، فالمعروف أن المأمون أول من اتخذ الاعتزال مذهبًا رسميًا للدولة العباسية، ونهج في مناظراته منهج المعتزلة، واعتبر نفسه من علمائهم، وأحاط نفسه بمجموعة منهم، وكان يعبر عنهم بقوله: «أصحابنا»، ولما كان مذهب المعتزلة يتفق في كثير من مبادئه مع مذهب الشيعة[2] الزيدية[3]، أكثر

---

(١) د. فاروق عمر: بحوث في التاريخ العباسي ص١٣٣، الطبعة الأولى، دار العلم للطباعة – بيروت – لبنان ١٩٧٧م، د. محمد حسب الله: بحوث في تاريخ العصر العباسي الأول ص١٨٢، الطبعة الأولى، مطبعة الفجر الجديد ١٤٠٩هـ – ١٩٨٨م.

(٢) كان لواصل بن عطاء – رأس المعتزلة – صداقة مع محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب، كما كان زيد بن علي تلميذًا لواصل، وأيد المعتزلة محمد النفس الذكية، وأخيه إبراهيم في ثورتيهما على الخليفة العباسي أبي جعفر المنصور. الشهرستاني: الملل والنحل جـ١ ص١٥٥، تحقيق: عبد العزيز محمد الوكيل، مؤسسه الحلبي ١٩٦٨م.

(٣) فرقة الزيدية أقرب فرق الشيعة إلى الجماعة الإسلامية وأكثرها اعتدالاً، فلم ترفع أئمتها إلى مرتبة النوبة أو مرتبة تدانيها، ولم يكفروا أحدًا من صحابة رسول الله ﷺ، خاصة من بايعهم علي بن أبي طالب، والإمام عندهم معروف بالوصف لا بالإسم والشخص، وإمام هذه الفرقة هو زيد بن علي زين العابدين الذي خرج =

فرق الشيعة اعتدالاً، فقد زين له علماء المعتزلة الذين أحاطوا به أن يأخذ بنظرية الزيدية في الإمامة، ويختار لعهده أفضل بني هاشم من أولاد فاطمة[(١)]، فاختار علي الرضا وولاه العهد، وكان من بين شهود البيعة بشر بن المعتمر[(٢)]، وثمامة ابن أشرس[(٣)] المعتزليان[(٤)].

= على الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك، فقتله وصلبه. الشهرستاني: الملل والنحل جـ١ ص٤٧ – ٥٢، دار الفكر العربي ١٩٧١م.

(١) يشترط الزيدية في الإمام أن يكون هاشميًا من أولاد فاطمة، ورعًا، تقيًا، عالمًا، سخيًا، كما تُجوز الزيدية إمامة المفضول، وأن الصفات السابقة هي للإمام الأمثل الكامل، وهو أولى بها من غيره، فإن اختير إمامًا لم يستوف بعض هذه الشروط صحت إمامته ولزمت بيعته. الشهرستاني: الملل والنحل: جـ١ ص١٥٤ – ١٥٩، والشيخ محمد أبو زهرة: تاريخ المذاهب الإسلامية جـ١ ص٤٧ – ٥٢.

(٢) بشر بن المعتمر الهلالي، البغدادي، أبو سهل، فقيه، معتزلي، مناظر، من أهل الكوفة، وكان جميع معتزلة بغداد مستجيبين له، وتنسب إليه طائفة البشرية، وله مصنفات في الاعتزال، منها قصيدة أربعين ألف بيت – فيما يقال –، رد فيها على جميع المخالفين لمذهبه، توفي ببغداد سنة ٢١٠هـ. الذهبي: تاريخ الإسلام جـ٦ ص٣٣، والزركلي: الأعلام جـ٢ ص٥٥.

(٣) ثمامة بن أشرس النميري، أبو معين، من كبار المعتزلة، وأحد الفصحاء البلغاء المتقدمين، كان له اتصال بالرشيد، ثم المأمون، وأراد المأمون أن يستوزره فاستعفاه، ومن تلاميذه: الجاحظ، وعده المقريزي في عداد الفرق الهالكة، وأتباعه يسمون «الثمامية» نسبة إليه، وقال ابن حزم: «كان ثمامة يقول: «إن العالم فعل الله بطباعه»، وتوفي سنة ٢٣١هـ. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ٧ ص١٤٥ – ١٤٨، والذهبي: تاريخ الإسلام جـ٦ ص٢١١، والزركلي: الأعلام جـ٢ ص١٠٠ – ١٠١.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم جـ١ ص٩٨ – ٩٩.

على أن الذي يثير الاستغراب والدهشة هو أن المأمون انتخب علويًّا من الفرع الحسيني هو علي الرضا، وهو من الأئمة الإمامية وليس من الزيدية أو الحسينية، بل إن الزيدية لا تعترف بإمامته لأسباب عديدة(١)، ولذلك فنحن لا نستطيع أن نقول بأن دور المعتزلة كان دورًا كبيرًا في هذا الاختيار بالذات، ولكنهم أثّروا على الخليفة بصورة غير مباشرة بأن سوغوا له جدوى النظرية الزيدية في الإمامة، مما دفعه إلى هذا الاختيار(٢).

٦- صفات الرضا التي تؤهله للخلافة:

كذلك من العوامل التي حملت المأمون على أخذ البيعة بولاية العهد لعلي الرضا – كما ذكر بعض الباحثين المحدثين – أنه استعرض الفتن التي قامت في الدولة الإسلامية في عهد علي بن أبي طالب – كرم الله وجهه – إلى يومه، فرآها فرقت كلمة المسلمين، على حين كان من الواجب عليهم أن يتحدوا ويتركوا التنافس على الخلافة جانبًا، ويصرفوا جهودهم إلى تنظيم أمورهم الداخلية، وعلاقاتهم الخارجية (٣)، ولو ساروا في هذا السبيل لأصبحوا قوة لا يستهان بها، ولتوطدت سلطتهم في البلاد التي فتحوها، لكن هذا التنازع بين البيتين: العلوي،

---

(١) سبق أن أوضحت هذه الأسباب، وشروط الزيدية في الإمام ص٧٩ من هذا البحث.

(٢) د. فاروق عمر: بحوث في التاريخ العباسي ص١٣٣، والملوك جـ٦ ص٥٣٥، وابن الجوزي: المنتظم جـ١٠ ص٨٣، وابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٣١٠. فأنت ترى أن علي الرضا يجنب الدولة إنفاق الأموال، وإراقة المزيد من دماء أبنائها حتى تحافظ على وحدة أراضيها، وهذا ما قصد إليه المأمون – من جعله علوي – إذ ذاك – في هذا المنصب الرفيع.

(٣) د. محمد جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية ص٢٠٦ – ٢٠٧.

والعباسي قطع أوصال الدولة الإسلامية، وشغل الخلفاء بإخماد ثورات العلويين عن القيام بإصلاح حال المسلمين، فرأى المأمون أنه من الخير أن يفتح الطريق أمام البيتين العباسي والعلوي، فيختار أحسنهم، وبهذا يتيسر لهذين البيتين التعاون لمصلحة المسلمين(١)، وبهذا تبرأ ذمته – كما زعم –(٢).

وعليه فقد نظر في أعيان البيتين فلم يجد أحدًا أفضل، ولا أروع، ولا أعلم، ولا أدين من «علي الرضا»، فلذلك عقد له العهد من بعده(٣)، خصوصًا وقد عرف عليّ بالمدينة – حيث يقيم – بتقواه، وعلمه وفتواه(٤)، يؤيد ذلك ما ذكره المأمون في كتابه ولاية العهد لعلي الرضا والذي جاء فيه «أنه التمس هذا الأمر في أهل بيته من ولد عبد الله بن العباس، وعلي بن أبي طالب فكره ونظره، مقتصرًا فيمن على حاله ومذهبه منهم على الحق علمًا بالغًا في المسألة فيمن خفي عليه أمره، وجهده، وطاقته، حتى استقصى أمورهم معرفة، وابتلى أخبارهم مشاهدة، وكشف ما عندهم مساءلة، فكانت خيرته بعد استخارته الله وإجهاده نفسه في قضاء حقه وبلاده من البيتين جميعًا علي بن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين ابن علي بن أبي طالب لما رأى من فضله البارع، وعلمه الناصع، وروعه الظاهر، وزهده الخالص، وتخيله عن الدنيا، وتسلمه من الناس، وقد استبان له ما

---

(١) أحمد أمين: ضحى الإسلام جـ٣ ص٢٩٥، ط١٠، دار الكتاب العربي – لبنان.

(٢) ابن طباطبا: الفخري ص٢١٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٣٢٦، وابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص١٣٤، دار الميسرة – بيروت – لبنان.

(٤) ابن الجوزي: المنتظم جـ١٠ ص١١٩ – ١٢٠، ود. ماجد: العصر العباسي الأول جـ١ ص٣١٤، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٣م.

لم تزل الأخبار عليه متواطئة، والألسن عليه متفقة، والكلمة فيه جامعة، ولما لم ينزل يعرفه من الفضل يافعًا وناشئًا، وحدثًا وكهلاً، فعقد العقد والخلافة من بعده إيثارًا لله وللدين، ونظرًا للمسلمين، وطلبًا للسلامة، وثبات الحجة، والنجاة في اليوم الذي يقوم فيه الناس لرب العالمين»[١].

ويبين ابن الجوزي الغرض من اختيار المأمون لعلي الرضا والبيعة له مما جاء في كتاب العهد أيضًا – على لسان المأمون –: «... وينصبه علمًا لهم، ومفزعًا في جمع ألفتهم ولم شعثهم، وحقن دمائهم، والأمن بإذن الله من فرقتهم، وفساد ذات بينهم، واختلافهم، ورفع نزع الشيطان وكيده عنهم ...»[٢]، ولكن غاب عن المأمون أن الخلاف لا ينقطع بهذا الحل، وأن عصبية كل من العلويين والعباسيين مصدر إثارة الفتن والقلاقل[٣].

ولا شك أن غرض المأمون – كما وضع من كتاب العهد – حسن وطيب، وهو لم شمل الأمة باجتماع البيتين العباسي والعلوي، وحقن دمائهم، وإصلاح ذات بينهم، لكن – كما سبق – لم يرض العباسيون بتحويل الخلافة عنهم، ولو افترضنا جدلاً أنها نقلت عنهم، فإنهم سيقاتلون في سبيل استردادها كما فعل العلويون.

أما ما يتمتع به علي الرضا من الصفات المتعددة والتي أهلته لولاية العهد، فيرد عليه بالقول: ألم يكن في العباسيين – وهم يومئذ كثيرون جدًا – من توجد

---

(١) انظر نص كتاب البيعة – للرضا عند: ابن الجوزي: المنتظم جـ١٠ ص٩٤ – ٩٧، والقلقشندي: صبح الأعشى جـ٩ ص٣٦٥.

(٢) المنتظم جـ١٠ ص٩٦.

(٣) د. جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدول العربية الإسلامية ص٢٠٧.

فيه هذه الصفات أو أكثرها، فيعهد إليه بدلاً من أخيه المؤتمن الذي له عهد من والده الرشيد؟ يخيل إليّ أن هذا بعيد.

٧- أسباب أخرى:

وإلى جانب ما تقدم فإن هناك أسبابًا أخرى ذكرها بعض الباحثين المحدثين في بيعة المأمون لعلي الرضا، منها:

- أن المأمون أراد بهذه البيعة صرف الناس عما كانوا يتكلمون فيه من قتل الخليفة الأمين، وأن هذا من حرب الإشاعات التي كلف الفضل ابن سهل دعاته بإطلاقها في أنحاء الدولة الإسلامية لاكتساب عناصر جديدة إلى صف المأمون بعد قتل الأمين، فكان من الحكمة في نظر المأمون ورجاله أن يلفقوا هذا الخبر، وأن يشغلوا الرأي العام عن التفكير فيه، وهو حادث قتل الأمين، إلى موضع آخر لا يقل عنه خطورة وهو تنحية البيت العباسي كلية عن النفوذ وإمارة المؤمنين، ونقل الرياسة العليا للدولة إلى العنصر المضطهد وهم العلويون، وبهذا استطاع المأمون – في أغلب الظن – أن يحول التفكير لدي الرأي العام الإسلامي عن موضع قتل الخليفة الأمين إلى أمر آخر أشد خطرًا وهو نقل الخلافة إلى العلويين، وتلك في الواقع سياسة بارعة – إلى حد كبير – لاسيما وأن فئة من الرأي العام في ذلك الوقت كانت تعطف على العلويين وتتشيع وبخاصة الفرس، إذن فقد كانت سياسة المأمون والفضل بن سهل في هذا الموضوع سياسة ذات اتجاهين، أحدهما: تسكين الفتنة التي نشبت بعد قتل الأمين، وثانيهما: كسب عطف الرأي العام الإسلامي على المستويين العربي والفارسي، وقد تمكنا فعلاً من

إحراز نجاح كبير في هذا المجال[١].

ومع تقديري لهذا الرأي، إلا أنه يجب أن يؤخذ في الاعتبار أن مقتل الأمين كان في سنة ١٩٨هـ، والبيعة للرضا كانت سنة ٢٠١هـ، أي بعد أربع سنوات تقريبًا، ويبدو لي أنها كافية لأن يكون حادث مقتل الأمين قد تباعد زمنه ولم يعد له تأثير كبير في الرأي العام وقت البيعة.

وكذلك لم تكن البيعة من حرب الإشاعات، بل كانت حقيقة واقعة، فقد كتب المأمون كتاب ولاية العهد، وبايع الناس والقواد مما يبعد عنها صفة الإشاعة.

ومن هذه الأسباب أيضًا، ما قاله أحد هؤلاء الباحثين المحدثين «إن الخليفة المأمون أراد بهذه البيعة كسب العنصر العربي إلى صفه، فقد أدرك أن حكمه لا يمكن أن يصبح مستقرًا إذا ظل قائمًا على العنصر الفارسي، وأنه لا بد له من ضم العرب إلى جانبه والاعتماد عليهم، ولما كان العباسيون والعلويون في العراق قد أظهروا عدم تأييدهم له لوقوعه تحت سيطرة الفرس بزعامة الفضل بن سهل حتى آثر البقاء في مرو، لذا استدعى عليَّ الرضا وهو علوي من أهل الحجاز معروف بنبل الأخلاق، وعدم الانغماس في الأحداث السياسية وجعله وليًا لعهده، وأراد بذلك أن يظهر ميله إلى الاستناد على العرب، والاعتماد على آل البيت فيضمن تأييد العرب والعلويين له، ويضعف من شأن المعارضين له منهم ويفككهم»[٢].

ومع وجاهة هذا الرأي إلا أني لا أجد في نفس ميلاً إلى الأخذ به، وذلك لأن

---

(١) د. عبد العزيز اللميلم: العلاقات بين العباسيين والعلويين ص١٨٩ – ١٩٠.

(٢) د. صالح أحمد العلي: العراق في التاريخ ص٤١٠ – ٤١١، المجمع العلمي العراقي – بغداد ١٩٨٣م.

المأمون لو أراد هذا فعلاً لتحقق له دون اللجوء إلى ولاية العهد وأخراجها من بيته، بشرط أن يترك خراسان الفارسية وينتقل إلى العراق العربية حاضرة الآباء والأجداد، فقد كان بقاؤه في مرو (١٩٨ – ٢٠٤هـ) أحد الأسباب الرئيسية في اضطراب بغداد، وخروجها عليه.

تحليل تاريخي:

وبعد استعراض ما سبق من الدوافع التي حملت المأمون على البيعة لعلي الرضا بالخلافة، أرى – والله أعلم – أن المأمون لم يكن صادقًا في تولية علي الرضا عهده، ولم يعترف يومًا ما بأحقية العلويين في الخلافة عن العباسيين[1]، وأن هذه البيعة كانت مناورة سياسية أراد بها المأمون كشف ما خفي من أسرار العلويين، وما غمض من أحوالهم، فلقد كان لسياسة البطش والقهر التي يسلكها الخلفاء العباسيون مع العلويين منذ عهد أبي جعفر المنصور (١٣٦ – ١٥٨هـ) أن انتهجوا في دعوتهم السرية والغموض، وفضّل أئمتهم الاختفاء عن الظهور، وأحاطوا أنفسهم بجو من التكتم والرهبة، وأخفوا أحوالهم عن شيعتهم، فنظر

(١) يؤيد ذلك ما ورد في محاورة بينه وبين علي الرضا، قال المأمون لعلي الرضا: «بم تدعون هذا الأمر؟»، أجاب الرضا: «بقرابة علي من النبي ﷺ، وبقرابة فاطمة رضي الله عنها»، قال المأمون: «إن لم يكن هاهنا شيء إلا القرابة، ففي خلف رسول الله ﷺ من أهل بيته من هو أقرب إليه من عليّ، ومن هو في القرابة مثله، وإن كان بقرابة فاطمة من رسول الله ﷺ فإن الحق بعد فاطمة للحسن والحسين، وليس لعلي في هذا الأمر حق وهما حيّان، وإذا كان الأمر على ذلك فإن عليًا قد أبرّهما جميعًا وهما حيان صحيحان، واستولى على ما لا يجب له»، فلم يجد علي الرضا له جوابًا. ابن عبد ربه: العقد الفريد جـ٢ ص١٩٨، جـ٥ ص٣٥٩.

العوام إليهم نظرة التقديس، ورفعوهم إلى مرتبة الأنبياء، بل تغالوا في صفاتهم بما يرفعهم فوق مستوى البشر، فأراد المأمون أن يكشف أحوالهم أمام العامة، وأنهم مثل سائر البشر يصيبون ويخطئون، ولهم عواطفهم ورغباتهم المكبوتة، وتطلعاتهم وأهدافهم المستورة، ورأى أن تعيين أحدهم وليًا للعهد كفيل بتفجير العواطف والرغبات، وإظهار التطلعات والأهداف، مما يغير نظرة العامة إليهم وينزلونهم عن المكانة التي لهم في نفوسهم مثل سائر البشر[(١)]، كما أن قبول علي الرضا لولاية العهد يحمل في طياته اعترافه – وهو إمام الشيعة – بشرعية الخلافة العباسية، وهذا ما أراد المأمون أن يؤكده ويوقع فيه الرضا أمام العلويين فتنهار ثقتهم بإمامته، وتضعف ثورتهم، وتفتر همتهم في الوقوف إلى جانبه[(٢)].

إذن .. كان المأمون في توليته للرضا سياسيًا حذقًا، ومناورًا بارعًا، ولم يستطع أحد أن يكتشف ما يهدف إليه، فلقد كان الستار الذي أخفى وراءه مناورته ذا ألوان براقة أرضى كل لون وطائفة من المعارضين.

فاختياره إمام الشيعة لولاية عهده وتلقيبه بالرضا أرضى العلويين، وعدوله عن السواد – لباس العباسيين – إلى الخضرة – شعار الفرس – أرضى الفرس

---

(١) راجع تفصيل ذلك عند: القفطي: أخبار العلماء بأخبار الحكماء ص٢٢١ – ٢٢٣، ليبسك ١٩٠٣م.

(٢) تذكر إحدى الروايات الشيعية أن المأمون كان يعتقد أن الرضا يدعو لنفسه سرًا، فبايعه بولاية عهده ليعترف له بالخلافة، وليعتقد فيه المفتونون به أنه ليس مما أدعى في قليل ولا كثير، وأن هذا الأمر له دونه. الصدوق: عيون أخبار الرضا جـ٢ ص٢٣٩، نقلاً عن د. فاروق عمر: بحوث في التاريخ العباسي ص١٣٨ – ١٣٩.

وعلى رأسهم بنو سهل، فماذا كان دورهم في تلك البيعة؟ هذا ما سوف تكشف عنه الصفحات التالية من هذا البحث.

دور بني سهل في البيعة:

وبعد أن أوضحت الظروف والملابسات التي أحاطت ببيعة المأمون لعلي الرضا بالخلافة، والدوافع التي حملت المأمون على ذلك، فإنه يهمني الآن أن أبين الدور الذي لعبه بنو سهل في تلك البيعة:

فقد رأى كثير من المؤرخين والباحثين المحدثين أن هذه البيعة تمت بتدبير زعيم بني سهل وهو الفضل بن سهل، وكان له اليد الطولى فيها، وقد ذكروا في ذلك روايات تاريخية كثيرة اتهمت الفضل بالسيطرة على المأمون، وعلى دولته في خراسان، وأنه الذي دبر أمر البيعة.

فيذكر الطبري أن الفضل كان يبرم الأمور على هواه، ويستبد بالأمر دون المأمون، ولما بويع لعلي الرضا قال أهل بغداد: «إن ذلك بدسيس من الفضل بن سهل»[1].

ويذكر الجهشياري[2] أن المأمون لما ساورته هذه الفكرة شاور الحسن والفضل ابني سهل، أما الحسن فامتعض عن الفكرة وأظهر للمأمون خطورتها، بينما شجعه الفضل وآزره، ويؤكد ابن طباطبا[3] الدور الذي لعبه الفضل بن سهل في أمر البيعة بقوله: «وكان الفضل ابن سهل وزير المأمون هو القائم بهذا الأمر

---

(١) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٥٢٨، ٥٥٥.

(٢) الوزراء والكتاب ص٣١٢ – ٣١٣.

(٣) الفخري في الآداب السلطانية ص٢١٧.

والمحسن له».

وقد أوضح هؤلاء المؤرخون أنّ الفضل بن سهل لم يكن مرفوعًا إلى ذلك حبًا في آل علي، وإنما كان ينشد مصلحته الشخصية، وتقوية النفوذ الفارسي[١]، وذلك أنه إذا ما أصبح أحد العلويين وليًا لعهد المأمون، فإن الخلافة تنتقل إليهم من غير حرب، وفي هذا إرضاء لقومه من الفرس الذين طالما سعوا إلى استعادة نفوذهم ومجدهم القديم.

فانتقال الخلافة إلى من يتشيعون له من العلويين يرفع شأنهم، ويحقق بعض ما يجيش في صدورهم من آمال[٢]، وكان الفضل بن سهل متأكدًا من وصوله إلى أغراضه، فكان يباهي بقدرته على تغيير مجريات الأمور في الدولة، وبخاصة في تنفيذ خططه، وقد نوه عن ذلك لبعض المقربين إليه بقوله: «أين يقع فعلي فيما آتيته من فعال أبي مسلم[٣] فيما آتاه»، فقالوا: «إن أبا مسلم حولها من قبيلة إلى قبيلة، وأنت حولتها من أخ إلى أخ، وبين الحالتين ما تعلمه»، فرد عليهم الفضل

---

(١) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٣١٢.

(٢) د. جمال الدين سرور: الحياة السياسية في الدول العربية الإسلامية ص٢٠٦.

(٣) هو عبد الرحمن بن مسلم، وقيل عثمان، ولد سنة ١٠٠هـ بأصبهان، واتصل بإبراهيم بن محمد الإمام الذي كلفه بالدعوة في خراسان، فقام بها أحسن قيام، وكان مقدمًا عند أبي العباس، ثم تخوفه المنصور فقتله سنة ١٣٧هـ بالمدائن، وهو من القادة الكبار، وكان فصيحًا بالعربية والفارسية، داهية، راوية للشعر، فاتكًا، شجاعًا، ذا عقل وحزم وتدبير، قليل الطمع. الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد جـ١٠ ص٢٠٧ – ٢١١، وابن الأثير: الكامل جـ٥ ص٤٦٨ – ٤٨٠، وابن خلكان: وفيات الأعيان: جـ٣ ص١٤٥ – ١٥٥، وابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص٧٣ – ٨٠، والزركلي: الأعلام جـ٣ ص٣٣٨.

ابن سهل قائلاً: «فإني أحولها من قبيلة إلى قبيلة»، ثم أشار على المأمون بأن يجعل علي الرضا ولي عهده[١].

وقد فطن نعيم بن حازم إلى سياسة الفضل ونزعته الفارسية حين استشاره المأمون في أمر البيعة لعلي الرضا، فاستنكر ذلك وقال للفضل: «إنك إنما تريد أن تزيل الملك من بني العباس إلى ولد علي، ثم تختال عليهم فتصيّر الملك كسرويًا، ولولا أنك أردت ذلك لما عدلت عن لُبسة علي، وولده وهي البياض إلى الخضرة لباس كسرى والمجوس»، ثم حذر المأمون منه قائلاً: «الله الله يا أمير المؤمنين، لا يخدعنك عن دينك وملكك»[٢].

هذا ما ذكره معظم المؤرخين عن هدف الفضل وغايته من تدبيره البيعة لعلي الرضا بولاية العهد.

أما عن خطته في تحقيق هذا الهدف أو هذه الغاية فقد ذكروا أنه أغرى المأمون في البقاء في خراسان – مرو –، وهي الحصن الفارسي المتشيع بالروح الفارسية، حتى يذكر المأمون انتسابه إلى الفرس ومكانته لديهم، فكان يردد له دائمًا هذا القول: «فكيف بك وأنت نازل في أخوالك وبيعتك في أعناقهم[٣]، وإذا خطب في الخراسانيين دعاه ابن اختنا، وابن عم رسول الله ﷺ»[٤]، كما استطاع الفضل أن يبقي المأمون بعيدًا عن المؤثرات والتيارات العربية في بغداد، وأن يقصيه عن أنصار أخيه الذين لم يكونوا يطمئنون إليه، كما كان يبغي جعل الخلافة

---

(١) ابن بابويه: عيون أخبار الرضا ص١٦٣.

(٢) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٣١٣.

(٣) نفس المصدر السابق ص٣٧٨.

(٤) نفس المصدر السابق ص٣٧٩.

في خراسان، لأن أهل بغداد يأنفون من مبايعة علوي مهما بلغ شأنه».

وبعد استعراض آراء المؤرخين عن دور الفضل بن سهل في البيعة لعلي الرضا بولاية العهد، واتهامهم له بأنه الذي دبر أمر هذه البيعة، وكان المُحسّن لها، وخطته في تحقيق هذه الغاية، أرى - والله أعلم - أنهم قد بالغوا فيما نسبوه إليه من هذا الأمر، فالفضل صنيعة الدول العباسية وتربى في كنفها، ومصلحته في بقائها، والروايات التاريخية هي التي شوهت تاريخه بعد مقتله، فهو الذي هوى، وسقط من عليائه، فدس عليه الرواة ما ليس فيه، واتهموه بما لم يفعله، كما فعلوا مع أبي مسلم الخراساني والبرامكة.

والمأمون هو صاحب الدور الرئيسي في أمر تلك البيعة، فلولا رغبته وتصميمه لما تم هذا الأمر، فالحوار الذي تم بينه وبين الفضل بن سهل وأخيه الحسن في أمر البيعة، والذي قرر فيه المأمون بأنه قد وعد بأن ينقل الخلافة إلى العلويين إذا ما انتصر على الأمين وصارت إليه الخلافة[١]، يؤكد لنا أن سياسة المأمون في اختيار علي الرضا لولاية العهد سياسة قديمة، وأنه فكر فيها قبل اعتلائه الخلافة، ويعتبر دليلاً على أنّ المأمون هو صاحب فكرة البيعة لعلي الرضا بولاية العهد، وقد حققت هذه السياسة التي أقدم عليها المأمون أطماع الفضل بن سهل في السيطرة وازدياد النفوذ فأيدها، وحسنها للمأمون[٢]، وكان مبعث تأييده رغبته في الحفاظ على سلطانه الواسع في خراسان، فلو لم يكن المأمون مقتنعًا تمامًا بهذه البيعة لما استطاع الفضل بن سهل ولا غيره أن يحمله عليها.

---

(١) الأصفهاني: مقاتل الطالبين ص٥٦٢ - ٥٦٣.

(٢) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٣١٣.

فشخصية المأمون القوية لا يمكن أن تسمح لوزيره الفضل بن سهل باتخاذ هذا القرار الخطير الذي يعني نقل الخلافة أو الدولة على حد قول ابن طباطبا من العباسيين إلى العلويين(١).

الموقف في بغداد بعد البيعة:

ومهما يكن من شيء فإن الخليفة المأمون ما كان يفرغ من أمر تلك البيعة العلوية سنة ٢٠١هـ(٢)، ويكلف والي بغداد – الحسن بن سهل – أسوة بغيره من سائر عمال الولايات – أن يأخذها لعلي الرضا على أهل بغداد حتى صدعت الجماهير هناك – أهل السنة منهم والعباسيون وغيرهم – بخلع المأمون وبتنصيب عمه إبراهيم بن المهدي(٣) خليفة على المسلمين بدلاً منه في أول المحرم سنة

---

(١) الفخري في الآداب السلطانية ص٢١٧.

(٢) المسعودي: مروج الذهب جـ٣ ص٤٤١، وابن الجوزي: المنتظم جـ١٠ ص١٠٧.

(٣) أبو إسحاق إبراهيم بن المهدي، ولد في غرة ذي القعدة سنة ١٦٢هـ، كان وافر الفضل غزير الأدب، عزيز النفس، سخي الكف، لم ير في أولاد الخلفاء قبله أفصح منه لسانًا، ولا أحسن منه شعرًا، كان قويًا شجاعًا، ولي دمشق والموصل في عهد الرشيد، بويع له بالخلافة سنة ٢٠٢هـ في بغداد، ولم يزل يدعى له بالخلافة حتى دخل المأمون بغداد سنة ٢٠٤هـ، فاستتر إبراهيم حتى قبض عليه المأمون سنة ٢١٠هـ وعفى عنه، توفي سنة ٢٢٤هـ. الخطيب: تاريخ بغداد جـ٦ ص١٤٠ – ١٤٥، وابن خلكان: وفيات الأعيان جـ١ ص٣٩، ٤٢، والذهبي: العبر في خبر من غبر جـ١ ص٣٨٩، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، سلسلة التراث العربي رقم (٤)، مطبعة حكومة الكويت ١٩٦٠م.

٢٠٢هـ، ولقبوه بـ «المبارك»[١]، وقيل بـ «المرتضى»[٢].

هذا في الوقت الذي كان فيه المأمون لا يزال بمرو بعيدًا عن بغداد مركز الخلافة، فنشب الخلاف بين جند إبراهيم وجند المأمون، وحاول الحسن بن سهل – والي العراق من قبل المأمون – تهدئة الحال في العراق، إلا أن الفتنة اشتدت في بغداد والكوفة[٣]، فاضطر الحسن بن سهل إلى الهرب من بغداد واللجوء إلى الموصل، فواسط[٤]، ثم اندلعت نيران الثورات، وامتد لهيبها في ربوع الدولة.

مغادرة المأمون مرو إلى بغداد:

ومقتل الفضل بن سهل وعلي الرضا:

بينما كانت الثورات تشتعل في غرب الدولة، والفضل بن سهل يخفي أنباءها عن الخليفة المأمون، وأفهمه أن عمه إبراهيم بن المهدي ما هو إلا نائب عنه في بغداد وليس خليفة، كانت مرو – العاصمة الخراسانية التي يقيم فيها المأمون وقتئذ – تتمخض عن جديد في عالم السياسة.

فقد رأى علي الرضا – ولي العهد – عدم السكوت عما يحدث في الدولة، وحمله إخلاصه على أن يكشف على وجه السرعة – للمأمون بأن وزيره الفضل ابن سهل يحول دون تسرب الأخبار إليه[٥].

---

(١) ابن العبري: تاريخ مختصر الدول ص١٣٤، ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٣٤١.

(٢) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي جـ٢ ص٤٥١، ابن الجوزي: المنتظم جـ١٠ ص١٠٧.

(٣) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٣٤٢ وما بعدها.

(٤) اليعقوبي: تاريخه جـ٢ ص٤٥٠.

(٥) ابن طباطبا: الفخري ص١٧٧.

وكشف على الرضا للمأمون عن كل ما يدور وما يخفى عليه[١]، وأعلمه بسخط الناس عليه وعلى بيعته له، وما هم فيه من الأذى[٢]، وسمى له عددًا من القواد يشهدون بما قال[٣]، فأحضرهم المأمون، وسألهم عما أخبره به «علي الرضا»، فطلبوا الأمان أولاً حتى لا يتعرضوا لأذى الفضل، فأمّنهم[٤]، فأخبروه بصدق كلام الرضا، وطلبوا منه الخروج إلى بغداد سريعًا حتى يستدرك أمره[٥].

لم يكن الأمر سهلاً على المأمون بعد أن عرف تلك الحقيقة التي أخفاها عنه وزيره الفضل بن سهل عن أحوال العراق، وسخط أهله على هذه البيعة لعلي الرضا، فضلاً عن مبايعة العباسيين لإبراهيم بن المهدي بالخلافة، فقد أوشكت الخلافة أن تخرج من يده، وكان عليه أن يتدبر الأمر في حكمه، وصبر، وروية ليتمكن من استمالة الناس إليه وخاصة أهل بغداد عاصمة الخلافة العباسية، وفي نفس الوقت كان لا يريد إثارة سخط العلويين عليه ليضمن ولاءهم له وعدم خروجهم عليه، أضف إلى ذلك أنه لا ينسى فضل الفرس في تمكينه من استعادة خلافته.

كل هذه العوامل تطلبت من المأمون جهدًا كبيرًا في التفكير ليتوصل إلى

---

(١) ابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٣٤٦.

(٢) الطبري: جـ٨ ص٥٦٤.

(٣) منهم: يحيى بن معاذ، وعبد العزيز بن عمران، وغيرهم. ابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٣٤٦، وابن خلدون: العبر جـ٣ ص٣٤٩.

(٤) ابن طباطبا: الفخري ص٢١٨ – ٢١٩، ابن كثير: البداية جـ١٠ ص٢٧١.

(٥) ابن الجوزي: المنتظم جـ١٠ ص١٠٨، وابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٣٤٦ – ٣٤٧.

القرارات الحاسمة التي تمكنه من المحافظة على الخلافة التي أوشكت أن تخرج من يده[١]، فكان أول ما فعله أن أمر بالرحيل إلى بغداد متنقلاً من مرو مقر إقامته السابق[٢]، وقد اصطحب معه وزيره الفضل بن سهل الذي لم يعارض في ذلك على الرغم من معرفته بأن المأمون علم بإخفائه الأمور عليه[٣]، كما اصطحب معه أيضًا ولي عهده علي الرضا، ودبر المأمون أمر التخلص من وزيره الفضل ابن سهل دون أن يفقد ولاء الخراسانيين له، فلم يشعر وزيره بأي تغير تجاهه، على الرغم بأن الفضل بن سهل قد اعتدى بالضرب على بعض رجاله الذين أكدوا للمأمون صحة أقوال علي الرضا عن الحالة في العراق، فظل الفضل لا يشك في نية المأمون تجاهه وما يدبره لقتله[٤].

فما أن بلغوا «سرخس»[٥] في طريقهم إلى بغداد حتى قتل الفضل بن سهل على يد جماعة من خدم الخليفة هاجموه في الحمام، وذلك في الثاني من شعبان سنة ٢٠٢هـ.

وعلى الرغم من أن المأمون ادعى البراءة من دم الفضل، وقام بقتل القتلة

---

(١) الرفاعي: عصر المأمون جـ١ ص٢٦٥ وما بعدها، ط٤، دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٢٨م.

(٢) المسعودي: التنبيه والإشراف ص٣٠٣.

(٣) الطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٦٥، وابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٣٤٧.

(٤) الطبري: تاريخ جـ٨ ص٦٥٦ وما بعدها.

(٥) سرخس: مدينة قديمة بنواحي خراسان بين نيسابور ومرو في وسط الطريق بينها وهي كبيرة واسعة، ويقل بها وجود الماء. ابن عبد الحق: مراصد الاطلاع جـ٢ ص٧٠٥، وكي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص٤٣٧ – ٤٣٨.

تعميةً للأمر، وأرسل رؤوسهم إلى أخي الفضل الحسن بن سهل بالعراق، وخطابًا مضمونه الوعد بالوزارة مكان أخيه الفضل، وليس هذا فحسب، بل إن المأمون عمد إلى مصاهرة الحسن حتى ينفي عن نفسه أي شبهة تتعلق بمعاداته لآل سهل، ومن ثم قتل زعيمهم الفضل، إلا أنّ الروايات التاريخية تشير إلى اتهام المأمون بتدبير قتل الفضل، وأن يده غير نظيفة من دمه، فلقد تأكد من استبداد الفضل، وتزايد نفوذه في دولته إلى درجة تهددها بالخطر، وحريّ به أن يضع حدًا لهذا التجاوز، وإذا كان أسلافه العباسيون قد واجهوا مثل هذه المشاكل باستئصال شأفة من أقاموها، كما فعلوا بأبي مسلم والبرامكة، فإنه ليس بأقل منهم، فدبر مقتل الفضل وأبعده عن مرو وقتله في «سرخس».

إذا أضفنا إلى ذلك أن قتلة الفضل بعد القبض عليهم اعترفوا بأن المأمون هو الذي أمرهم بذلك، لتأكد لنا تدبير المأمون لقتل الفضل[١].

ومهما يكن من شيء فإن المأمون قد استغل وفاة الفضل بن سهل في التقرب من العباسيين والبغداديين الذين أخذوا عليه تسليمه نفسه للفضل بن سهل يُسيّرها أنى شاء، وجعل للفرس سلطانًا في ظل خلافته، وبينما هو كذلك يعمل على توطيد سلطان الدولة في البلاد التي يمر بها وهو في الطريق من مرو إلى بغداد، إذا بالمنيّة توافي علي بن موسى الرضا في مدينة طوس في آخر صفر

---

(١) كان قتلة الفضل قد هربوا، فجل المأمون لمن يأتي بهم عشرة آلاف دينار، فلما قبض عليهم قالوا للمأمون: أنت أمرتنا بقتله، فأمر بضرب أعناقهم. الطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٦٥.

سنة ٢٠٣هـ[١]، فصلى عليه المأمون ودفنه عند قبر أبيه الرشيد[٢].

وقد اختلفت آراء المؤرخين حول ما إذا كانت وفاة الرضا طبيعية أم أنه مات مسمومًا بتدبير المأمون.

فالطبري يذكر في تاريخه[٣] ما يفيد أن وفاة الرضا طبيعية لا دخل للخليفة المأمون فيها من قريب أو بعيد: فيقول: «إن عليًا وافته منيته لما أفرط في أكلة عنب».

وكذلك يرى هذا الرأي ابن الوردي[٤]، والسيوطي[٥]، فيذكران أن علي الرضا مات فجأة دون الإشارة إلى سبب موته، ودون اتهام للمأمون، كما يذكر ابن العماد الحنبلي أن علي الرضا قد مات بسبب مرض الحمى[٦].

أما المقدسي، وابن الجوزي، وابن العبري، وأبو الفدا، وابن كثير، وابن خلدون فقد ذكروا أن عليّ الرضا أكل عنبًا فأكثر منه فمات فجأة[٧]، وذكر

---

(١) ابن الجوزي: المنتظم جـ١٠ ص١١٥، وابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٣٥١.
(٢) ابن الأثير المصدر السابق جـ٦ ص٣٥١، وأبو الفدا: المختصر في أخبار البشر جـ٢ ص٢٤، دار المعرفة – بيروت (د. ت.).
(٣) تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٥٦٨.
(٤) تتمة المختصر جـ١ ص٣٢٠، الطبعة الأولى، دار المعرفة – بيروت ١٩٧٠م.
(٥) تاريخ الخلفاء ص٢٨٥.
(٦) شذرات الذهب جـ٢ ص٦.
(٧) البدء والتاريخ م٢ جـ٦ ص١١١، والمنتظم جـ١٠ ص١١٥، وتاريخ مختصر الدول ص١٣٤، والمختصر جـ٢ ص٢٤، والبداية والنهاية في التاريخ جـ١٠ ص٢٤٩، والعبر جـ٣ ص٢٥٠.

المسعودي، وابن الأثير، وابن خلكان أن هذا العنب كان مسمومًا[١].

وأما اليعقوبي فإنه يذكر أن وفاة علي الرضا كانت بسبب رمان مسموم أطعمه إياه علي بن هشام، وأنه اعتل بسبب ذلك أيامًا ثلاثة مات بعدها[٢]، ويجزم ابن طباطبا[٣] بأن المأمون هو الذي دس السُمّ للرضا في العنب، فيقول: «... ثم دس – أي المأمون – إلى علي بن موسى الرضا سُمًّا في العنب – وكان يحب العنب –، فأكل منه واستكثر فمات من ساعته».

ويذكر الأصفهاني تفصيلاً أكثر فيقول: «إن الرضا كان يعجبه العنب، فأخذ له عنب وجعل في موضع أقماعه الإبر، فتركت إيامًا، فأكل منه في علته فقتله، وذكر أن ذلك من لطيف السموم»[٤]، ويعلق ابن الأثير[٥] على حكاية السُمّ هذه بقوله: «وهذا عندي ببعيد».

هذه آراء المؤرخين القدامى في نهاية علي الرضا.

أما الباحثون المحدثون فمنهم من يبرئ المأمون من تهمة قتل علي الرضا، ومنهم من يتهمه صراحة بتدبير ذلك.

فمن الفريق الأول الشيخ محمد الخضري[٦] الذي أنبرى لمناقشة قضية

---

(١) مروج الذهب جـ٣ ص٤٤١، دار الأندلس – بيروت (د. ت.)، والكامل في التاريخ جـ٦ ص٣٥١، ووفيات الأعيان جـ٣ ص٢٧٠.

(٢) تاريخ اليعقوبي جـ٢ ص٤٥٣.

(٣) الفخري في الآداب السلطانية ص٢١٨.

(٤) مقاتل الطالبيين ص٥٦٧.

(٥) الكامل في التاريخ جـ٦ ص٣٥١.

(٦) محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية جـ٢ ص١٨٣.

وضع المأمون السُم لعلي الرضا، فشكك في نسبة ذلك إلى الخليفة، ومما قاله: «ويتّهمون المأمون بأنه سمه، وليس عندنا من البراهين ما يؤكد هذه التهمة، لأنه بقدر ما يقربها إرادة المأمون التقرب إلى أهل بغداد والعباسيين بالتخلص من الرضا، يبعدها ما كان مغروسًا في نفس المأمون من محبه آل أبي طالب، وأنه صاهر عليًا، وأن عليًا هو الذي أظهر له حقيقة ما كان يدور بالعراق من الفتن، ولا يبعد عندي أنه من فعل البطانة المأمونية ليخففوا عن المأمون اضطراب العباسيين، ويخلصوه مما يعتقدونه شرًا، وهو خروج الخلافة من آل العباس»، وهذا رأي له وجاهته وليس بمستبعد.

ومنهم من يرى أن قتل علي الرضا كان بواسطة آل سهل، وبالذات الحسن ابن سهل وأنصاره، عندما كشف علي الرضا للخليفة الكثير من الأمور التي أخفاها عنه الفضل بن سهل، والتي تمس الخليفة والخلافة على حد سواء، والتي راح ضحيتها الفضل نفسه عندما تخلص منه المأمون، كما يعتبر ردًا على إفساد تدبير الفرس بالاستقرار في مرو(1).

ويعقب صاحب هذا الرأي على نفسه بقوله: «إن هذا الرأي غير مستبعد، ولكن هذا لا يعني أن المأمون لا يريد ذلك، لأن إزاحة الرضا عن وجهه خاصة بعد رحيله من مرو إلى بغداد كان شغله الشاغل، لأن أهل بغداد لن يرحبوا بمجيء الرضا وليًا للعهد في بغداد، ولهذا فإن نهاية الرضا سواء تمت من طريق آل سهل ومن وراءهم، أو عن طريق غيرهم إنما وافق ذلك هوى في نفس الخليفة المأمون، هذا إن لم يكن الخليفة المأمون نفسه مسئولاً مسئولية مباشرة

---

(1) د. عبد العزيز اللميلم: العلاقات بين العباسيين والعلويين ص١٩٤.

عن نهاية الرضا»[١].

أما الفريق الثاني فمنهم الدكتور علي عبد الرحمن العمرو الذي يرى أن المأمون – صراحة له يد مباشرة في قتل علي الرضا، مؤكدًا رأيه بالرسالة التي أرسلها المأمون إلى أهل بغداد يخبرهم فيما بموت علي الرضا، الذي كان السبب في نقمتهم عليه بعد أن بايع له بالخلافة من بعده، ويدعوهم للدخول في طاعته[٢].

وكذلك يرى هذا الرأي الدكتور يوسف العش، فيقول: «استمر المأمون متوجهًا نحو بغداد، وبينما هو في طريقة بمدينة طوس دبر أمرًا آخر، ولعله كان من خطته أيضًا أن يفتدي نفسه بعلي الرضا ...»، ثم يقول معلقًا على العنب الذي أكله الرضا ومات بسببه: «لعلنا لا نصدق أن إنسانًا يموت من أكل العنب إذا لم يكن في العنب ما يؤثر في الحياة كالسُّم مثلاً»[٣].

ويحاول د. أحمد شلبي التماس العذر للمأمون – بعد أن تردد في قبوله اتهامه بدس السُّم للرضا – بقوله: «ولكن من الواضح أن المأمون كان لا يحب سفك الدماء، وكان يكره الغدر، ويميل إلى العفو والتسامح، وأنه إن كان قد لجأ إلى التآمر للتخلص من بعض الأفراد – كالفضل والرضا –، فإن ظروفًا قاهرة كانت تدفعه، ومشكلات عظيمة كانت تؤثر فيه، فهو لم يرتكب هذا العمل غيلة أو يرضي نفسًا متعطشة للدم .. لا، ولكن المأمون ارتكبه ليسكن فتنة، ويهدئ ثورة،

---

(١) نفس المصدر السابق.

(٢) أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول ص٣٣٧.

(٣) تاريخ عصر الخلافة العباسية ص٩٢، الطبعة الأولى، دار الفكر – دمشق ١٩٨٢م.

فلم يكن القتل هنا للتشفي والانتقام، وإنما للضرورة الملحة التي تحتمه ...»[١].

ويقول أيضًا: «وظاهرة أخرى ليست في أعمال الفتك التي أوعز بها المأمون، فإن فتكه كان مقصورًا على من يخشى أذاه، لا يتعداه إلى أهله أو إلى مصادرة أمواله»[٢].

وبعد استعراض آراء المؤرخين القدامى والمحدثين في نهاية علي الرضا، أرى – والله أعلم – أن المأمون بريء من دم علي الرضا، لأنه كان على صلة طيبة به، ولما أظهره من رعاية صادقة له وثقها بالمصاهرة [٣]، وما أبداه من الحزن العميق عليه عند وفاته[٤]، فلقد قام بالصلاة عليه، وأقام له مشهدًا في طوس بجوار قبر أبيه الرشيد[٥]، وربما فعل ذلك بعض رجال البيت العباسي أو الموالين لهم، لأنهم لم يرتضوا سياسة المأمون تجاه العلويين، يؤكد ذلك اليعقوبي بإشارته إلى أن عليًا بن هشام هو الذي تولى هذا الأمر، ودبر له[٦].

ويبدو أن الفترة الحرجة التي كانت تمر بها خلافة المأمون عقب تأكده من

---

(١) موسوعة التاريخ الإسلامي جـ٣ ص٣٣٧.

(٢) نفس المرجع السابق والصفحة.

(٣) الطبري: تاريخ الأمم والملوك جـ٨ ص٥٦٦ وما بعدها.

(٤) اليعقوبي: تاريخ جـ٢ ص٤٥٣.

(٥) كان قبر الإمام علي الرضا بقرية يقال لها: «سناباذ»، وهي على نحو ربع فرسخ من مدينة النوقان – إحدى مدن طوس –، وكان يوجد بتلك القرية أيضًا قبر الخليفة الرشيد الذي توفي بها عام ١٩٣هـ. انظر في هذا الشأن: ياقوت الحموي: معجم البلدان جـ٦ ص٧٠ – ٧٢، وكي لسترنج: بلدان الخلافة الشرقية ص٤٣٠ – ٤٣٢.

(٦) تاريخ اليعقوبي جـ٢ ص٤٥٣.

حالة العراق، والانقسام الذي حدث بين العباسيين والعلويين والفرس في تلك الفترة التي تولى فيها الحسن بن سهل ولاية العراق، وتولى فيها علي الرضا ولاية العهد، كانت كفيلة بان تجعل الشك يتسرب إلى نفوس الشيعة الذين اعتقدوا أن المأمون قد قضى على علي الرضا، كما قضى على وزيره الفضل بن سهل، وأن علي الرضا لم يمت ميتة طبيعية، وهذا ما جعل الكثير من المؤرخين يوردون خبر وفاته، ثم يتبعونها بعبارة: «قيل إنه مات مسمومًا»، حتى لا ينفو الخبر[١] ولا يؤكدوه لعدم استطاعتهم التثبت من ذلك لتأثر الشيعة بوفاة ولي العهد، وذلك على الرغم مما أظهره المأمون تجاه علي الرضا من شدة التقرب إليه ومصاهرته بتزويجه ابنته أم حبيب، وبتزويج ابنته الأخرى أم الفضل من محمد بن علي الرضا، كما جعل إمارة الحج في نفس تلك الفترة إلى أخيه إبراهيم بن موسى[٢][٣].

---

(١) المسعودي: مروج الذهب جـ؟؟ ص٣٢٩، وابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٣٥١، وابن خلكان: وفيات الأعيان جـ٣ ص٢٧٠. ومما يؤكده براءة المأمون ما ذكره الأصفهاني – وهو شيعي – من إن المأمون دخل على علي الرضا يعوده في اليوم الذي توفي فيه، فوجد يجود بنفسه، فبكى وقال: اعزز علي يا أخي بأن أعيش ليومك، وقد كان في بقائك أمل، وأغلظ علي من ذلك وأشد أن الناس يقولون: إني سقيتك سُمًّا، وأنا إلى الله بريء من ذلك، فقال له الرضا: صدقت يا أمير المؤمنين، أنت والله بريء. مقاتل الطالبيين ص٥٧١ – ٥٧٢.

(٢) الطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٦٦، وابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٣٥٠، وابن كثير: البداية والنهاية جـ١٠ ص٢٧١.

(٣) إبراهيم بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر، خرج باليمن واستولى عليها، وامتد سلطانه إلى الساحل وآخر القرن الشرقي من اليمن، أرسله المأمون=

ولذا فإنه من المستبعد أن يصل المأمون بدهائه أن يربط مصير ابنتيه بزوجين كان يضمر لهما السوء والغدر، ولعل الرواية القائلة بأن ولي العهد قد أفرط في أكله العنب – وكان يحبه حبًا شديدًا – فأصابته حمى شديدة مات على أثرها[1]، رواية أولى بالتصديق من تلك الاتهامات التي لم تؤيد بما يفوق الحديث والتخمين.

سواء صحّ ما ذهبتُ إليه أم لم يصح، فإن جميع التشككات في وفاة علي الرضا لم تُبدل من القول بأنه قد توفى في الفترة التي كان فيها المأمون يخطط ويدبر لاستعادة خلافته التي كانت قد أصبحت تدور وسط عواصف قوية، تكاد أن تُودي بها، فما كان منه إلا أن أرسل إلى الحسن بن سهل يخبره بالأمر، كما أرسل إلى بني العباس في بغداد يعلمهم بوفاة علي الرضا الذي لم يرتضوه ولم يقبلوا بيعته، وسألهم الدخول في طاعته[2].

وعلى الرغم من موقف أهل بغداد إزاء المأمون ورفضهم العودة لطاعته، إلا أن قدومه إلى بغداد كان كافيًا لإعادة الهدوء إليها، فقد خلع أهل بغداد إبراهيم ابن المهدي[3]، ثم ما لبثوا أن استقبلوا المأمون

= في سنة ٢٠٠هـ أميرًا ليحج بالناس، فلم يستطع لوجود المعتصم أميرًا على الحج في هذا العام، ثم دخل إبراهيم مكة في سنة ٢٠٢هـ، وقتل عاملها المعتصم وحج بالناس، ودعا للمأمون ولأخيه علي الرضا الكاظم – ولي العهد – ثم عاد إلى اليمن، وكانت وفاته ببغداد مسمومًا سنة ٢١٠هـ، وقيل في سنة ٢٢٢هـ. الفاسي: العقد الثمين جـ٣ ص٢٦٤، ٢٦٥، والزركلي الأعلام جـ١ ص٧٥.

(١) ابن العماد الحنبلي: شذرات الذهب جـ٢ ص٦.

(٢) الطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٦٨، وابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٣٥١.

(٣) الطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٧٠، والمسعودي: مروج الذهب جـ٢ ص٣٤٨.

بالترحاب[١]، ولم يلبث المأمون أن أمر بإعادة السواد شعار العباسيين، وإزالة اللون الأخضر شعار العلويين من الملابس والأعلام[٢]، وذلك لسبع بقين من شهر صفر سنة ٢٠٤هـ.

وبذلك عاد إلى الناس البشر والفرح لدرجة أنهم كانوا يحرقون تلك الشعارات الخضراء لشدة فرحهم[٣].

ثالثًا: الحسن بن سهل وزيرًا للمأمون:

سبق أن ذكرت أن الحسن بن سهل قد ظل مناصحًا للمأمون مع أخيه الفضل ابن سهل وصار من رجاله المخلصين الذين كانوا يقوون من عزيمته، ويشددون أزره ليتمكن من النصر على أخيه الأمين ويتولى الخلافة، وكان النصر حليف طاهر بن الحسين قائد قوات المأمون الذي باشر الحرب ضد قوات الأمين وكتب الله له النصر، وكان يبعث بالبشائر تلو البشائر بانتصاراته إلى المأمون والفضل ابن سهل[٤]، ولما بلغ المأمون هذه الانتصارات، أراد أن يرفع من منزلة بني سهل، فأسند إلى الفضل ابن سهل رياسة الحرب والتدبير، ولقبه – كما سبق القول – «ذا الرياستين»، وولى الحسن بن سهل ديوان الخراج[٥]، وكان ذلك أول منصب يتقلده الحسن، إلى أن قتل محمد الأمين، فولاه المأمون العراق، وكتب إلى

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٣٥١.

(٢) الطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٧٤، والسيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٤٦.

(٣) الطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٧٤.

(٤) ابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٢٣٩ – ٢٤٦.

(٥) نفس المصدر السابق ص٢٥٧.

طاهر بن الحسين بتسليمه ما افتتحه من البلاد، بما في ذلك الحجاز واليمن[١].

غادر الحسن بن سهل خراسان سنة ١٩٩هـ متوجهًا إلى العراق، وخرج الخليفة مودعًا له[٢]، وعند قدومه بغداد تركها طاهر بن الحسين متجهًا إلى الرقة تنفيذًا لأمر الخليفة[٣]، كما غادرها هرثمة بن أعين متوجهًا إلى خراسان بناء على طلب الخليفة أيضًا، وعلى ذلك استقل الحسن بن سهل بتدبير الأمور في العراق[٤]، وباشر أعماله فيها، في وقت كان فيه الناس لا يزالون بين موالٍ للمأمون وعليه السمع والطاعة له، ومن كان لا يزال على ولائه السابق للخليفة الأمين حتى بعد قتله تعصبًا للعنصر العربي، وكراهية للفرس.

ويذكر ابن خلكان أن بني هاشم أو القواد لم يخالفوا الحسن بن سهل في أمر طاعة للمأمون إلى أن ولى المأمون عهده لعلي الرضا[٥]، غير أن الأحداث التي جرت عقب ولاية الحسن بن سهل تدل على أن الناس لم يرضوا بتولي أمرهم أحد الفرس، فضلاً عن أن المأمون كان لا يزال مقيمًا في خراسان، فقاموا بثورات متعددة للتعبير عن غضبهم، وكانت أولى تلك الثورات: ثورة أبي السرايا التي سبق الحديث عنها، كما توالت الفتن في شتى أرجاء الدولة الإسلامية، ونشبت الثورات في كل مكان منذرة بخروج الأمر من يد المأمون إذا استمر على

---

(١) الطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٢٧، والجهشياري: الوزراء والكتاب ص٣٠٥.

(٢) نفس المصدر الأخير ص٣٠٥.

(٣) اليعقوبي: تاريخه جـ٢ ص٤٤٦، والطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٢٨.

(٤) الطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٢٨، وابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٤١٠.

(٥) وفيات الأعيان جـ٢ ص١٢١.

ترك الأمور في يد الحسن بن سهل[1]، وظل هو بعيدًا عن بغداد التي اشتدت فيها أيضًا ثورة الجند الذين خرجوا على الحسن بن سهل[2].

ويبدو أن هناك من كان قد أحس بكل هذه الأمور، وفطن إلى أن جميع هذه الأحداث ظل أمرها في طي الكتمان عن الخليفة المأمون، فقد أحس هرثمة بن أعين أن الأمور تسير في خفاء وكتمان عن الخليفة المأمون، ومن ثم عزم على المسير إلى خراسان ليخبر الخليفة بصدق عن الحالة في العراق[3]، ولكن الفضل ابن سهل سبقه إلى المأمون وأخبره بأن هرثمة ما جاء إلا مشاغبًا، وشاقًا عصى الطاعة، واتهمه بالتقصير في القضاء على فتن العلويين بالحجاز، وأنه إن تركه كان مفسده لغيره، فتغير قلب المأمون عليه ولم يسمع له قولاً أو مدافعة حين وصل إلى خراسان، بل إنه أمر به فديس بطنه، وضرب أنفه، وسحب من بين يديه فأودع في السجن، ومكث فيه أيامًا تحت التعذيب حتى قتل بإيعاز من الفضل ابن سهل، وأشيع بين الناس أنه مات حتف أنفه[4].

وظل المأمون في خراسان على غير علم بالأحداث التي استمرت داخل بغداد نفسها، خاصة عقب تولية المأمون العهد لعلي الرضا، فقد غضب بنو هاشم لذلك، وقام الناس ببيعة إبراهيم بن المهدي خليفة للمسلمين، ولقبوه بـ

---

(١) ابن العماد: شذرات الذهب جـ٢ ص٢.

(٢) ابن الأثير: الكامل في التاريخ جـ٦ ص٣١٥.

(٣) الطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٤٢.

(٤) اليعقوبي: تاريخه جـ٢ ص٤٤٩، والطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٤٣، وابن الأثير: الكامل جـ٦ ص١١٦.

«المبارك»[١].

وكان الحسن بن سهل هو الذي تولى إعلان بيعة المأمون بولاية العهد لعلي الرضا إلى أهل بغداد، كما أبلغهم بطرح لبس السواد، والالتزام بلبس الخضرة شعار العلويين[٢].

ولم تهدأ نفوس الناس في العراق بتولي الحسن بن سهل ولاية العراق وما يليها، كما ازدادت حدة غضبهم وثورتهم لإخراج الخلافة من بني العباس إلى أبناء علي بن أبي طالب، واشتدت الثورة في بغداد والكوفة التي حاول الحسن بن سهل استمالة أهلها الذين عرفوا بتشيعهم للعلويين، فولى عليها العباس بن موسى بن جعفر العلوي، وأمره بلبس الخضرة، وتولى أمر الناس فيها[٣]، غير أن الأمور لم تهدأ أيضًا في الكوفة حيث اشتد فيها القتال، وازدادت فيها الفتن.

ولما أحسن علي الرضا ولي عهد المأمون بأن أحوال البلاد قد أصبحت في حال من الفتن والقلاقل، توجه إلى المأمون وأخبره بجميع الأحداث في التي تدور في العراق، الأمر الذي جعل المأمون يأمر بالمسير إلى العراق، ثم يتخلص من وزيره الفضل بن سهل، ويبعث بالخبر إلى أخيه الحسن بن سهل مخبرًا إياه بمصابه من فقدان أخيه، ومدى تأثره بذلك، ومُوليًا إياه الوزارة خلفًا لأخيه الفضل

---

(١) نفس المصادر السابقة.

(٢) الجهشياري: الوزراء والكتاب ص٢١٢، ومؤلف مجهول: العيون والحدائق جـ٣ ص٣٥٣.

(٣) الطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٥٨، وابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٣٤٢، وابن مسكويه: تجارب الأمم جـ٦ ص٤٣٩، مكتبة المثنى – بغداد.

به سهل[١]، ولما نزل بفم الصلح – قرب مدينة واسط – تزوج بخديجة ابنة الحسن بن سهل ولقبها «بوران»[٢].

ويبدو أن المأمون فعل ذلك لربط أواصر الصلة بينه وبين الحسن بن سهل من جهة، وحرصًا على موالاة الفرس وعدم تمردهم عليه إن هُمْ أحسوا بانقلاب أمره على بني سهل من جهة أخرى.

وهكذا استطاع المأمون استمالة الحسن والقواعد الخراسانيين إليه، وأن ينفي عن نفسه أي شبهة تتعلق بمعاداته لآل سهل، وقتل زعيمهم الفضل، واستمر الحسن بن سهل قائمًا بأمر الوزارة للمأمون، في الوقت الذي كان يكتم شدة تأثره لمقتل أخيه الفضل، الأمر الذي جعل حالته تسوء، فقد ذهب عقله حتى شُدّ في الحديد، ولما بلغ المأمون أمره، عزله عن الوزارة سنة ٢٠٤هـ، وبذلك قطع المأمون صلته ببني سهل[٣].

وظل الحسن بن سهل على تلك الحالة حتى توفي سنة ٢٣٦هـ[٤] في خلافة

---

(١) الطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٦٥، وابن طباطبا: الفخري ص١٩٩.

(٢) يروى أن الحسن بن سهل قام بالإنفاق على زواج ابنته من المأمون بما لم يسبق أن قام أحد قبله، فيذكر لنا السعودي أنه كان ينثر على بني هاشم والقواد بنادق مسك في رقاع بأسماء ضياع، وأسماء جوار، وصفات دواب. مروج الذهب جـ٢ ص٣٤٩، كما يذكر ابن خلكان أن جدتها نثرت عليها ألف درة كانت تحمل في صينية من الذهب. وفيات الأعيان جـ١ ص٢٨٩.

(٣) الطبري: تاريخ جـ٨ ص٥٦٨، ومؤلف مجهول: العيون والحدائق جـ٣ ص٣٥٧.

(٤) ابن الأثير: الكامل جـ٦ ص٣٥٦، وابن طباطبا: الفخري ص٢٠٤.

المتوكل على الله[١]، وقد حاول المأمون عقب عودته من خراسان إلى العراق أن يجعل أغلب أعمال الدولة في يد الشيعة من رجاله الخراسانيين، ويكف أيدي الشيعة من أهل العراق عن هذه الأعمال، إلا أن موقفه هذا سرعان ما تبدل حين ساء حال أهل العراق من الشيعة، وتظلموا إلى المأمون، وطلبوا منه مشاركه رجاله في الأعمال، فأشركهم فيها وساوى بينهم في المعاملة[٢]، وبذلك قبض المأمون على أمور دولته محايدًا لجميع الأطراف، وذلك لكسب ودهم جميعًا، واستطاع بذلك التفرغ لشئون دولته.

---

(١) المتوكل على الله: هو أبو الفضل جعفر بن المعتصم بن الرشيد، أمه أم ولد اسمها شجاع، ولد سنة ٢٠٥هـ، وقيل سنة ٢٠٧هـ، وبويع له في ذي الحجة سنة ٢٣٢هـ، وقد أظهر الميل إلى السنة، ونصر أهلها، ورفع المحنة، وكتب بذلك إلى الآفاق وذلك في سنة ٢٣٤هـ، وقد استقدم المحدثين إلى مدينة سامراء وأجزل عطاياهم، وأكرمهم، وظل في الخلافة حتى قتل في الخامس من شهر شوال سنة ٢٤٧هـ. السيوطي: تاريخ الخلفاء ص٢٧٤ – ٢٨٢.

(٢) ابن مسكويه: تجارب الأمم جـ٦ ص٤٥٠ – ٤٥١.

الخاتمة

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله.

وبعد ..

فإن خاتمة القول في هذا العمل الذي أرجو أن يكون خالصًا لوجهه الكريم أن أبين مجموعة من الحقائق والنتائج تجلت من خلال هذه الدراسة التي تناولت جانبًا هامًا من تاريخ المسلمين في العصر العباسي الأول، وهو دور بني سهل السياسي في خلافتي: الأمين، والمأمون.

لقد بينت هذه الدراسة أن بني سهل قد ظهروا على مسرح الأحداث في الدولة العباسية في عهد الخليفة هارون الرشيد، حيث أسلم جدهم سهل – وهو من أصل فارسي – على يد يحيى بن خالد البرمكي الذي قرّب سهلاً منه، وأدخل أبناءه في خدمة أسرة البرامكة، وقد ظل بنو سهل في خدمة هذه الأسرة حتى نكبتها، فلزموا جانب المأمون حين عرفوا أن الخلافة ستؤول إليه، وقاموا بتدبير بعض أموره.

ثم بينت الدراسة أن الخليفة هارون الرشيد قد جانبه الصواب حين عهد بولاية العهد من بعده لأبنائه الثلاثة: الأمين، والمأمون، والمؤتمن، فقد ألقى بهذا الصنيع بأس أبنائه بينهم، وبذور بذور الشر والفتنة بين الأمين والمأمون، مما أدى إلى ضعف الحزب العباسي، وهيّأ السبيل لتقوية الحزب العلوي في عهد المأمون، وتدخّل بني سهل في أموره وسيطرتهم عليه.

كذلك أوضحت هذه الدراسة أنه على الرغم من أن بعض المؤرخين يعللون إقدام الخليفة الرشيد على تولية المأمون لولاية العهد بعد الأمين، لأنه رأى في

أخلاق الأمين سوءًا، وفي أفعاله ترفًا، ورأى في سيرة المأمون ما يؤهله لتولي الأمر من بعده، إلا أن الباحث يرى أن الأمر لا علاقة له بأخلاق المأمون وأفعاله، فالأمين والمأمون لم يكونا قد تعديّا عمر الطفولة والصبا، ولم يك يُعرف خيرهما من شرهما، ولا ميوعتهما من حزمهما.

ثم أوضحت الدراسة بعد ذلك أن تدخل بني سهل في أمور المأمون بدأ منذ أن ولّي على خراسان واستقر فيها، فقد ظهرت آثارهم في تدبير أموره، وأصبحت لهم بعد ذلك منزلة كبرى لديه ولدي أهل خراسان – كما تبين لنا من خلال صفحات هذا البحث.

وبينت الدراسة أن بني سهل يتحملون التبعة الكبرى لهذه المأساة الأليمة التي وقعت بين الأمين والمأمون، فقد زينوا له الخروج إلى خراسان والإقامة فيها حتى يكون بعيدًا عن سيطرة الأمين، وعندما بدأ النزاع بين الأخوين أخذوا يسهلون على المأمون مسلك أخيه الأمين تجاهه، ويبينون له قوة مركزه، ومنعوه من محاولة اللحاق بقوات أبيه الرشيد التي لم تنفذ وصيته وسارت إلى بغداد، وخوفوه من عاقبة هذا العمل، وشجعوه على الاستقرار في خراسان بين أهله وعشيرته، مؤكدين له نجاحه في الوصول إلى الخلافة، ونجحوا في جذب أهلها إلى مساندته، وكونوا له فيهم جبهة قوية تقف بجانبه ضد أخيه الأمين، كما أشاروا عليه بعدم الذهاب إلى بغداد حين طلب منه الأمين ذلك، وحملوه على رفض كل مطالب الأمين، ولما نشبت الحرب بين الأخوين كان بنو سهل هم المدبرون والمرسلون لكل الجيوش التي قضت على الأمين، وجعلت المأمون ينفرد بالخلافة.

كما بينت الدراسة أن انتصار المأمون على أخيه الأمين ومبايعته بالخلافة

مبايعة عامة في بغداد سنة ١٩٨هـ، كان انتصارًا حاسمًا لأهل خراسان وللحزب الفارسي الذي يمثله بنو سهل – الفضل بن سهل –، وزاد من قوة هذا الانتصار أن الخليفة الأمين زعيم الحزب العربي لقي حتفه على أيدي الفرس، كما أدى هذا الانتصار إلى تعاظم النفوذ الفارسي، فظل المأمون مقيمًا في مرو، ولم يعد إلى بغداد – حاضرة الخلافة العباسية – استرضاءًا منه لأهل خراسان، وعادت سيطرة أهل خراسان على المناصب الرئيسية في الدولة من عسكرية ومدنية، فأصبح النفوذ الفارسي بوجه عام أقوى من سواه، فطبع البلاد بطابعه، وصبغها بصبغته التي تجلت في شتى نواحي الحياة السياسية، والاجتماعية والثقافية.

ثم بينت الدراسة أن بني سهل بدأ شأنهم يعلو بعد تولّي المأمون أمور الخلافة، وخاصة الفضل بن سهل، الذي عمد إلى السيطرة على جميع أمور الدولة بتعيين أقاربه وأعوانه حكامًا وولاة، وإطلاق العنان لهم في جميع الشئون، ومن هؤلاء الحسن بن سهل الذي نجح الفضل في أخذ موافقة المأمون على إسناد أمور الخلافة في العراق إليه.

وفي هذا دلالة واضحة على ازدياد نفوذ بني سهل، وسيطرتهم على أمور الخلافة.

أما فيما يختص ببيعة المأمون لعلي الرضا بولاية العهد من بعده، فقد أوضحت الدراسة أنه على الرغم من أن كثيرًا من المؤرخين القدامى والباحثين المحدثين يرون أن هذه البيعة قد تمت بتدبير الفضل بن سهل، وكانت له اليد الطولى فيها، وذكروا في ذلك روايات تاريخية متعددة اتهمت الفضل بالسيطرة على المأمون وعلى دولته في خراسان، وأنه دبر أمر البيعة، إلا أن الباحث يرى

أنهم قد بالغوا فيما نسبوه إليه من هذا الأمر، فالفضل صنيعة الدولة العباسية، وتربى في كنفها، ومصلحته في بقائها، والروايات التاريخية هي التي شوهت تاريخه بعد مقتله، فهو الذي هوى وسقط من عليائه، فدس عليه الرواة ما ليس فيه، واتهموه بما لم يفعله، كما فعلوا مع أبي مسلم الخراساني والبرامكة، والمأمون هو صاحب الدور الرئيسي في أمر تلك البيعة، فلولا رغبته وتصميمه لما تم هذا الأمر، والحوار الذي تم بينه وبين الفضل بن سهل وأخيه الحسن في أمر البيعة، والذي قرر فيه المأمون بأنه قد وعد بأن ينقل الخلافة إلى العلويين إذا ما انتصر على الأمين، وصارت إليه الخلافة، يؤكد لنا أن سياسة المأمون في اختيار علي الرضا لولاية العهد سياسة قديمة، وأنه فكر فيها قبل تولية الخلافة، ويعتبر دليلاً على أن المأمون هو صاحب فكرة البيعة لعلي الرضا بولاية العهد، وقد حققت هذه السياسة التي أقدم عليها المأمون أطماع الفضل بن سهل في السيطرة، وازدياد النفوذ، فأيدها وحسنها للمأمون حفاظًا على سلطانه الواسع في خراسان، فلو لم يكن المأمون مقتنعًا تمامًا بهذه البيعة، لما استطاع الفضل بن سهل ولا غيره أن يحمله عليها، فشخصية المأمون القوية لا يمكن أن تسمح لوزيره الفضل بن سهل باتخاذ هذا القرار الخطير، الذي يعني نقل الخلافة أو الدولة من العباسيين إلى العلويين.

وفيما يختص بقتل الفضل بن سهل، فقد بينت هذه الدراسة أن الخليفة المأمون على الرغم من أنه قد ادعى البراءة من دم الفضل، وقام بقتل القتلة وإرسال رؤوسهم إلى الحسن بن سهل شقيق الفضل، وخطابًا مضمونه الوعد بالوزارة مكان أخيه الفضل المقتول، إلا أن الباحث لا يبرئه من تهمة تدبير قتل

الفضل، ويرى أن يده غير نظيفة من دمه، فلقد تأكد من استبداد الفضل وتزايد نفوذه في دولة المأمون إلى درجة تهددها بالخطر، وحري بالمأمون أن يضع حدًا لهذا التجاوز، وإذا كان أسلافه العباسيون قد واجهوا مثل هذه المشاكل باستئصال شأفة من أقاموها، كما فعلوا مع أبي مسلم والبرامكة، فإنه ليس بأقل منهم، فدبر مقتل الفضل، وأبعده عن مرو، وقتله في مدينة سرخس – كما سبق ذكره –، وإذا ما أضفنا إلى ذلك أن قتلة الفضل بعد القبض عليهم اعترفوا بأن المأمون هو الذي أمرهم بذلك لتأكد لنا تدبير المأمون لقتل الفضل.

وإذا كانت هذه الدراسة قد أثبتت أن الخليفة المأمون هو الذي دبّر لقتل الفضل بن سهل – كما سبق القول –، إلا أنها أثبتت براءته من قتل علي الرضا، لأنه كان على صلة طيبة به، وكان ممن رافقوه إلى مرو، واستبعد أنه قام بوضع السُم له في الطعام – كما قيل –، وربما فعل ذلك بعض رجال البيت العباسي خوفًا على مستقبلهم، وخاصة أن جناحهم الموجود في بغداد رفض هذا الإجراء لما له من نتائج سيئة عليهم في المستقبل.

وأخيرًا أثبتت هذه الدراسة أن الخليفة المأمون كان يهدف من وراء اتخاذ الحسن بن سهل وزيرًا له بعد مقتل أخيه الفضل ومصاهرته له، إلى ربط أواصر الصلة بينه وبين الحسن من جهة، وحرصًا على موالاة الفرس وعدم تمردهم عليه إن هم أحسوا بانقلاب أمره على بني سهل من جهة أخرى، فهو بهذا يستطيع أن يستميل إليه الحسن والقواد الخراسانيين، وينفي عن نفسه أي شبهة تتعلق بمعاداته لآل سهل وقتل زعيمهم، وقد أتت سياسته هذه بثمارها، فقد استمر الحسن قائمًا بأمر الوزارة للمأمون، ومواليًا له في الوقت الذي كان يكتم فيه شدة

تأثره لمقتل أخيه الفضل، الأمر الذي جعل حالته تسوء، فقد ذهب عقله وشُد في الحديد، ولما بلغ المأمون أمره عزله عن الوزارة وولاها أحمد بن أبي خالد، وبذلك قطع المأمون صلته ببني سهل وزالت دولتهم.

والله الحمد أولاً وأخرًا ..

د. حجازي حسن طراوة

الملحق الأول

نص الكتاب الذي أخذه هارون الرشيد

على ابنه محمد الأمين لأخيه عبد الله المأمون(١)

(شرط الكعبة)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين كتبه محمد بن هارون في صحة من بدنه وعقله وجواز أمره، إن أمير المؤمنين هارون، ولاني العهد من بعده، وجعل لي البيعة في رقاب المسلمين جميعًا، وولى أخي عبد الله بن أمير المؤمنين العهد والخلافة وجميع أمور المسلمين بعدي برضى مني وتسليم، طائعًا غير مكره، وولاه خراسان بثغورها، وكورها، وأجنادها وخراجها وطرازها، وبريدها، وبيوت أموالها وصدقاتها وعشرها وعشورها، وجميع أعمالها في حياته وبعد موته، وشرطت لعبد الله أخي علي الوفاء بما جعل له هارون أمير المؤمنين من البيعة والعهد والولاية والخلافة وأمور المسلمين بعدي، وتسليم ذلك له وما جعل له من ولاية خراسان وأعمالها، وما أقطعه هارون أمير المؤمنين من قطيعة، وجعل له من عقدة أو ضيعة من ضياعه وعقده، أو ابتاع من الضياع والعقد، وما أعطاه في حياته من مال، أو حلي، أو جوهر، أو متاع، أو كسوة، أو رقيق، قليلاً أو كثيرًا، فهو لعبد الله ابن أمير المؤمنين أخي موفرًا عليه مسلمًا له.

وقد عرفت ذلك كله شيئًا شيئًا باسمه وأصنافه ومواضعه أنا وأخي عبد الله

---

(١) اليعقوبي: تاريخ اليعقوبي جـ٢ ص٤١٦ – ٤١٩.

ابن هارون، فإن اختلفنا في شيء منه، فالقول قول عبد الله أخي لا أنتقصه صغيرًا ولا كبيرًا من ماله، ولا من ولايته خراسان وأعمالها، ولا أعزله عن شيء منها، ولا أستبدل به غيره، ولا أخلعه، ولا أقدم عليه في العهد والخلافة أحدًا من الناس جميعًا، ولا أدخل عليه مكروهًا في نفسه ولا دمه، ولا خاص ولا عام من أموره، وولايته ولا أمواله ولا قطائعه ولا عقده، ولا أغير عليه شيئًا بسبب من الأسباب، ولا آخذ أحدًا من كتابه وعماله، وولاه أموره، ممن صحبه وأقام معه، بمحاسبة في ولاية خراسان وأعمالها وغيرها مما ولاه هارون أمير المؤمنين في حياته وصحته من الجباية، والأموال، والطراز، والبريد، والصدقات، والعشر والعشور وغير ذلك من ولايتها، ولا آمر بذلك أحدًا، ولا أرخص فيه لغيري، ولا أحدث نفسي فيه بشيء أمضيه عليه، ولا ألتمس قطيعته ولا أنقص شيئًا مما جعل هارون أمير المؤمنين وأعطاه في حياته، وخلافته، وسلطانه، من جميع ما سميت في كتابي هذا، وأخذ له عليَّ وعلى جميع الناس البيعة، ولا أرخص لأحد من الناس كلهم في خلعه ولا مخالفته، ولا أسمع من أحد البرية في ذلك قولاً، ولا أرضى به في سر ولا علانية، ولا أغمض عليه، ولا أتغافل عنه، ولا أقبل من بار من العباد، ولا فاجر، ولا صادق ولا كاذب، ولا ناصح ولا غاش، ولا قريب ولا بعيد، ولا أحد من ولد آدم، ذكرًا، وأنثى، مشورة، ولا حيلة، ولا مكيدة في شيء من الأمور سرها وعلانيتها، وحقها وباطلها وظاهرها، ولا سبب من الأسباب أريد بذلك إفساد شيء مما أعطيت عبد الله بن هارون أمير المؤمنين من نفسي وشرطت في كتابي هذا علي، وأوجبت على نفسي، وشرطت وسميت وإن أراد أحد من الناس شرًا، أو مكروهًا، أو خلعًا، أو محاربة، أو الوصول إلى نفسه ودمه، أو حرمه أو ماله أو سلطانه أو ولايته جميعًا، أو فرادى مسرين ذلك أو

مظهرين له، أن انصره وأحوطه وأدفع عنه، كما أدفع عن نفسي، ومهجتي وشعري وبشري وحرمي وسلطاني، وأجهز الجنود إليه، وأعينه على كل من أعنته وخالفه، ويكون أمري وأمره في ذلك واحدًا أبدًا ما كنت حيًّا، ولا أخذله، ولا أسلمه، ولا أتخلى عنه.

* * *

الملحق الثاني

نص الكتاب الذي أخذه هارون الرشيد

على ابنه عبد الله المأمون لأخيه محمد الأمين (١)

(شروط الكعبة)

بسم الله الرحمن الرحيم

هذا كتاب لعبد الله هارون أمير المؤمنين، كتبه له عبد الله بن هارون أمير المؤمنين في صحة من عقله، وجواز من أمره، وصدق نيته فيما كتب في كتابه هذا، ومعرفته بما فيه من الفضل والصلاح له، ولأهل بيته، وجماعة المسلمين: أن أمير المؤمنين ولاني العهد والخلافة، وجميع أمور المسلمين في سلطانه بعد أخي محمد بن هارون أمير المؤمنين، وولاني في حياته، وبعد موته، ثغور خراسان، وكورها، وجميع أعمالها من الصدقات، والعشر والعشور، والبريد، والطراز، وغير ذلك واشترط لي علي محمد بن هارون أمير المؤمنين الوفاء بما عقد لي من الخلافة، والولاية للعباد والبلاد بعده، وولاية خراسان، وجميع أعمالها، لا يعرض لي في شيء مما أقطعني أمير المؤمنين، أو ابتاع لي من الضياع، والعقد، والدور، والرباع، أو ابتعت لنفسي من ذلك، وما أعطاني أمير المؤمنين هارون من الأموال، والجواهر، والكساء، والمتاع، والدواب، في سبب محاسبته لأصحابي ولا يتبع لأحد منهم أبدًا، ولا يدخل علي، ولا على أحد كان معي ومني، ولا عمالي ولا كتابي، ومن استعنت به من جميع الناس، مكروهًا في

---

(١) اليعقوبي: المصدر السابق جـ٢ ص٤١٩ – ٤٢١.

نفس، ولا دم، ولا شعر، ولا بشر، ولا مال، ولا صغير، ولا كبير، فأجابه إلى ذلك، وأقرّ به، وكتب بذلك كتابًا، وكتبه على نفسه، ورضى به هارون أمير المؤمنين، وعرف صدق نيته، فشرطت لعبد الله هارون أمير المؤمنين، وجعلت له على نفسي أن أسمع لمحمد ابن أمير المؤمنين، وأطيعه، ولا أعصيه، وأنصحه ولا أغشه، وأوفي ببيعته وولايته، ولا أغدر، ولا أنكث، وأنفذ كتبه وأموره، ومؤازرته ومكاتفته، وأجاهد عدوه في ناحيتي ما وفى لي بما شرط لي ولعبد الله هارون أمير المؤمنين، ورضي لي به، ولا أنتقص شيئًا من ذلك، ولا أنتقص أمرًا من الأمور التي شرطها لي عليه أمير المؤمنين، فإن احتاج محمد ابن أمير المؤمنين إلى جند، وكتب إلي يأمرني بأشخاصهم إليه، أو إلى ناحية من النواحي، أو عدو من أعدائه خالفه، وأراد نقص شيء من سلطانه الذي أسنده هارون أمير المؤمنين إلينا، وولاّناه، أن أنفذ أمره، ولا أخالفه، ولا أقصر في شيء كتب به إلي، وإن أراد محمد ابن أمير المؤمنين أن يولي رجلاً من ولده العهد من بعدي، فذلك له ما وفيى بما جعل لي أمير المؤمنين هارون، واشترط لي عليه، وشرطه على نفسه في أمري، وعلى إنفاذ ذلك، والوفاء به، ولا أنقص ذلك ولا أغيره، ولا أبدله، ولا أقدم قبله أحدًا من ولدي، ولا قريبًا، ولا بعيدًا من الناس أجمعين، إلا أن يولى هارون أمير المؤمنين أحدًا من ولده العهد شرطت وسميت في كتابي هذا، ما وفي لي محمد ابن أمير المؤمنين بجميع ما أشترط لي هارون أمير المؤمنين في نفسي، وما أعطاني أمير المؤمنين من جميع الأشياء المسماه في الكتاب الذي كتبه لي وعلى عهد الله وميثاقه، وذمة أمير المؤمنين وذمتي، وذمم آبائي وذمم المؤمنين وأشد ما أخذ الله على النبيين والمرسلين، وخلقه أجمعين، من عهوده ومواثيقه، والأيمان المؤكدة التي أمر الله بالوفاء بها، فإن أنا نقصت شيئًا مما

شرطت وسميت في كتابي هذا، أو غيرت، أو بدلت، أو نكثت، أو غدرت، فبرئـت من الله، ومن ولايته، ومن دينه ومن محمد رسول الله، ولقيت الله يـوم القيامـة كافرًا به مشركًا، وكل امرأة هي اليوم لي، أو أتزوجها إلى ثلاثين سنة طالق ثلاثًا البتة، طلاق الحرج وكل مملوك لي اليوم، أو أملكه إلى ثلاثين سنة، أحرار لوجه الله، وعلى المشي إلى بيت الله الحرام الذي بمكة ثلاثين نذرًا واجبًا علي، وفـي عنقي حافيًا راجلاً، لا يقبل الله مني إلا الوفاء به، وكل مال هو لي اليوم، أو أملكه إلى ثلاثين سنة هدي بالغ الكعبة، وكل ما جعلت لعبد الله هارون أمير المـؤمنين وشرطت في كتابي هذا لازم لي لا أضمير غيره ولا أنوي سواه، وشهد الشـهود الذين شهدوا على أخيه محمد بن أمير المؤمنين.

* * *

الملحق الثالث

نص كتاب هارون الرشيد إلى العمال بتولية الأمين والمأمون العهد(١)

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد فإن الله ولي أمير المؤمنين وولي ما ولاه، والحافظ لما استرعاه، وأكرمه به من خلافته وسلطانه، والصانع له فيما قدم وأخر من أموره، والمنعم عليه بالنصر والتأييد في مشارق الأرض ومغاربها، والكالئ والحافظ والكافي من جميع خلقه، وهو المحمود على جميع آلائه، المسئول تمام حسن ما أمضى من قضائه لأمير المؤمنين، وعادته الجميلة عنده، وإلهام ما يرضى به، ويوجب له عليه أحسن المزيد من فضله، وقد كان من نعمة الله عز وجل عند أمير المؤمنين وعندك وعند عوام المسلمين ما تولى الله من محمد وعبد الله ابني أمير المؤمنين، من تبليغه بهما أحسن ما أملت الأمة ومدت إليها أعناقها، وقذف الله لهما في قلوب العامة من المحبة والمودة والسكون إليهما والثقة بهما، لعماد دينهم وقوام أمورهم، وجمع ألفتهم، وصلاح دهماتهم، ورفع المحذور والمكروه من الشتات والفرقة عنهم، حتى ألقوا إليهما أزمتهم وأعطوهما بيعتهم وصفقات أيمانهم، بالعهود والمواثيق، وتوكيد الإيمان المغلظة عليهم، أراد الله فلم يكن له مرد، وأمضاه فلم يقدر أحد من العباد على نقضه ولا إزالته، ولا صرف له عن محبته ومشيئته، وما سبق في علمه منه، وأمير المؤمنين يرجو تمام النعمة عليه وعليهما في ذلك، وعلى الأمة كافة لا عاقب لأمر الله ولا راد لقضائه، ولا معقب

---

(١) الطبري: تاريخ الطبري جـ٨ ص٢٨٣ – ٢٨٥.

لحكمه.

ولم يزل أمير المؤمنين منذ اجتمعت الأمة على عقد العهد لمحمد ابن أمير المؤمنين من بعد أمير المؤمنين، ولعبد الله بن أمير المؤمنين من بعد محمد بن أمير المؤمنين، يعمل فكره ورأيه ونظره ورويته، فيما فيه الصلاح له ولجميع الرعية والجمع للكلمة، واللم للشعث، والدفع للشتات والفرقة، والحسم لكيد أعداد النعم، من أهل الكفر والنفاق والغل والشقاق، والقطع لآمالهم من كل فرصة يرجون إدراكها وانتهازها منها بانتقاص من حقهما، ويستخير الله أمير المؤمنين في ذلك، ويسأله العزيمة له على ما فيه الخيرة لهما ولجميع الأمة، والقوة في أمر الله وحقه وائتلاف أهوائهما، وصلاح ذات بينهما وتحصينهما من كيد أعداء النعم، ورد حسدهم ومكرهم وبغيهم وسعيهم بالفساد بينهما.

فعزم الله لأمير المؤمنين على الشخوص بهما إلى بيت الله وأخذ البيعة منهما لأمير المؤمنين بالسمع والطاعة والانفاذ لأمره، واكتتاب الشرط على كل واحد منهما لأمير المؤمنين ولهما بأشد المواثيق والعهود، وأغلظ الأيمان والتوكيد، والأخذ لكل واحد منهما على صاحبه مما التمس به أمير المؤمنين اجتماع ألفتهما ومودتهما وتواصلهما ومؤازرتهما ومكاتفتهما على حسن النظر لأنفسهما ولرعية أمير المؤمنين التي استرعاهما، والجماعة لدين الله عز وجل وكتابه وسنن نبيه ﷺ،، والجهاد لعدو المسلمين، من كانوا، وحيث كانوا، وقطع طمع كل عدو مظهر للعداوة، ومُيسرّ لهما، وكل منافق ومارق، وأهل الأهواء الضالة والمضلة من تكيد بكيد توقعه بينهما، ويدحس يدحس به لهما، وما يلتمس أعداء الله وأعداء النعم وأعداء دينه من الضرب بين الأمة والسعي بالفساد في الأرض والدعاء إلى البدع والضلالة، نظرًا من أمير المؤمنين لدينه ورعيته وأمة

نبيه محمد ﷺ، ومناصحًا لله ولجميع المسلمين، وذبًا عن سلطان الله الذي قدره، وتوحد فيه للذي حمله إياه، والاجتهاد في كل ما فيه قربه إلى الله، وما ينال به رضوانه والوسيلة عنده.

فلما قدم مكة أظهر لمحمد وعبد الله رأيه في ذلك، وما نظر فيه لهما، فقبلا كل ما دعاهما إليه، من التوكيد على أنفسهما بقبوله، وكتبا لأمير المؤمنين في بطن بيت الله الحرام بخطوط أيديهما، بمحضر ممن شهد الموسم من أهل بيت أمير المؤمنين وقواده وصحابته وقضاته وحجبة الكعبة وشهاداتهم عليهما كتابين استودعهما أمير المؤمنين الحجبة، وأمر بتعليقها في داخل الكعبة.

فلما فرغ أمير المؤمنين من ذلك كله في داخل بيت الله الحرام وبطن الكعبة، أمر قضاته الذين شهدوا عليهما وحضروا كتابهما، أن يعلموا جميع من حضر الموسم من الحاج والعمار ووفود الأمصار ما شهدوا عليه من شرطهما وكتابهما، وقراءة ذلك عليهم ليفهموه ويعوه، ويعرفوه، ويؤدوه إلى إخوانهم وأهل بلدانهم وأمصارهم ففعلوا ذلك، وقرئ عليهم الشرطان جميعًا في المسجد الحرام، فانصرفوا، وقد اشتهر ذلك عندهم، وأثبتوا الشهادة عليه، وعرفوا نظر أمير المؤمنين وعنايته بصلاحهم وحقن دمائهم، ولم شعثهم، وإطفاء جمرة أعداء الله، أعداء دينه وكتابه وجماعة المسلمين عنهم، وأظهروا الدعاء لأمير المؤمنين والشكر لما كان منه في ذلك.

وقد نسخ لك أمير المؤمنين ذينك الشرطين اللذين كتبهما لأميري المؤمنين ابناه محمد وعبد الله في الكعبة في أسفل كتابه، هذا فاحمد الله عز وجل على ما صنع لمحمد وعبد الله وليي عهد المسلمين حمدًا كثيرًا، واشكره ببلائه عند أمير المؤمنين وعند وليي عهد المسلمين وعندك وعند جماعة أمة محمد ﷺ، كثيرًا.

واقرأ كتاب أمير المؤمنين على من قبلك من المسلمين، وأفهمهم إياه، وقم به بينهم، وأثبته في الديوان قبلك وقبل قواد أمير المؤمنين ورعيته قبلك، واكتب إلى أمير المؤمنين بما يكون في ذلك، إن شاء الله وحسبنا الله ونعم الوكيل وبه الحول والقوة والطول.

وكتب إسماعيل بن صبيح يوم السبت لسبع ليال بقين من المحرم سنة ست وثمانين ومائة.

* * *

قائمة المصادر والمراجع

* ابن الأثير: أبو الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني (ت٦٣٠هـ).

١- الكامل في التاريخ، دار صادر - بيروت ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

* أحمد أمين.

٢- ضحى الإسلام، ط (١٠)، دار الكتاب العربي - لبنان.

* أحمد شلبي (دكتور).

٣- موسوعة التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية، ط٢٦١، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٧م.

* أحمد فريد الرفاعي (دكتور).

٤- عصر المأمون، ط (٤)، دار الكتب المصرية - القاهرة ١٣٤٦هـ/ ١٩٢٨م.

* الأصفهاني: أبو بكر علي بن الحسين (ت٣٥٦هـ).

٥- مقاتل الطالبيين، تحقيق: السيد أحمد صقر، مكتبة الحلبي - مصر ١٩٤٩م.

* أنور الرفاعي.

٦- أطلس العالم الإسلامي، مكتبة لبنان - بساحة رياض الصلح - بيروت.

* البلاذري: أحمد بن يحيى (ت٢٧٩هـ).

٧- فتوح البلدان، تحقيق: د. صلاح الدين منجد، مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٦م.

* ابن تغري بردي: أبو المحاسن يوسف بن تغري بردي الأتابكي (ت٨٧٤هـ).

٨- النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، دار الكتب المصرية - القاهرة (د. ت.).

* التنوخي: أبو علي، المحسن بن أبي القاسم علي بن محمد (ت٣٨٤هـ).
٩- الفرج بعد الشدة، تحقيق: عبود الشالحي، دار صادر - بيروت ١٣٩٣هـ.
١٠- تشوار المحاضرة، تحقيق: عبود الشالحي، دار صادر - بيروت ١٣٩٣هـ.
* الجاحظ: أبو عثمان عمرو بن بحر (ت٢٥٥هـ).
١١- البيان والتبيين، تحقيق: فوزي عطيوي، مكتبة الطلاب وشركة الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٦٨م.
* الجهشياري: أبو عبد الله محمد بن عبدوس الكوفي (ت٣٣١هـ).
١٢- الوزراء والكتاب، تحقيق: مصطفى السقا وآخرين، ط (٢)، مكتبة الحلبي - مصر ١٩٨٠م.
* ابن الجوزي: أبو الفرج عبد الرحمن بن علي (٥٩٧هـ).
١٣- المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، ط (١)، دار الكتب العلمية - بيروت ١٩٩٢م.
* حسن إبراهيم حسن (دكتور).
١٤- تاريخ الإسلامي السياسي، ط (١)، مكتبة النهضة المصرية ١٩٨٣م.
* حسن أحمد محمود، وأحمد الشريف (دكتوران).
١٥- العالم الإسلامي في العصر العباسي، ط (٣)، دار الفكر العربي ١٩٧٧.
* الخضري: محمد بك.
١٦- محاضرات في تاريخ الأمم الإسلامية، المكتبة التجارية - مصر ١٩٧٠م.
* الخطيب البغدادي: أبو بكر أحمد بن علي (ت٣٥٦هـ).
١٧- تاريخ بغداد، تحقيق: د. عبد القادر عطا، ط (١)، دار الكتب العلمية - بيروت ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

* ابن خلدون: عبد الرحمن بن محمد (ت٨٠٨هـ).

١٨- العبر وديوان المبتدأ والخبر، دار الكتاب اللبناني - بيروت ١٩٦٧م.

* ابن خلكان: أبو العباس أحمد بن محمد (ت٦٨١هـ).

١٩- وفيات الأعيان وأنباء الزمان، تحقيق: د. إحسان عباس، دار صادر - بيروت ١٩٧٧م.

* خليفة بن خياط: أبو عمرو خليفة بن خياط العصفري (ت٢٤٠هـ).

٢٠- تاريخ خليفة بن خياط، تحقيق: د. أكرم العمري، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٧٧، ١٩٧٩م.

* الذهبي: أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان (٧٤٨هـ).

٢١- تاريخ الإسلام وطبقات المشاهير والأعلام، ط (١)، دار الغد ١٩٩٦م.

٢٢- سير أعلام النبلاء، تحقيق شعب الأرنؤوط، ط (١١)، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٩٦م.

٢٣- ميزان الاعتدال، تحقيق: علي محمد البجاوي وغيره، دار الفكر العربي - القاهرة (د. ت.).

* الزركلي: خير الدين.

٢٤- الأعلام، دار العلم للملايين، ط (٢)، بيروت - لبنان ١٩٩٧م.

* سالم: السيد عبد العزيز (دكتور).

٢٥- العصر العباسي الأول، مؤسسة شباب الجامعة - الإسكندرية ١٣٩٨هـ.

* سرور: محمد جمال الدين سرور (دكتور).

٢٦- الحياة السياسية في الدولة العربية الإسلامية، ط (٥)، دار الفكر العربي ١٩٧٥م.

* سعاد ماهر (دكتورة).

٢٧- النسيج الإسلامي، طبع الجهاز المركزي للكتب الجامعية والمدرسية – القاهرة ١٩٧٧م.

* سيد أمير علي.

٢٨- مختصر تاريخ العرب، نقله إلى العربية: عفيف البعلبكي، ط (٣)، دار العلم للملايين – بيروت ١٩٧٧م.

* السيوطي: جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر بن محمد (ت ٩١١هـ).

٢٩- تاريخ الخلفاء، راجعه وعلق عليه: جمال محمود مصطفى، دار الفجر للتراث – القاهرة (د. ت.).

* ابن شاكر الكتبي: محمد بن شاكر (ت ٧٦٤هـ).

٣٠- فوات الوفيات، تحقيق: د. إحسان عباس، دار الثقافة – بيروت ١٩٧٤م.

* شاكر مصطفى (دكتور).

٣١- دولة بني العباس، الجزء الثاني، وكالة المطبوعات – الكويت ١٩٧٦م.

* صالح أحمد العلي.

٣٢- العراق في التاريخ، المجمع العلمي العراقي – بغداد ١٩٨٣م.

* الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك (ت٧٦٤هـ).

٣٣- الوافي بالوفيات، الجزء الخامس، تحقيق مجموعة من الباحثين، دار صادر – بيروت ١٩٨٢، ١٩٨٤م.

* ابن طباطبا: محمد بن علي (ت٧٠٩هـ).

٣٤- الفخري في الآداب السلطانية، دار صادر – بيروت (د. ت).

* الطبري: أبو جعفر محمد بن جرير (ت٣١٠هـ).

٣٥- تاريخ الأمم والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط (٢) بيروت – لبنان ١٩٦٧م.

* ابن ظافر الأزدي: جمال الدين أبو الحسن (ت٦١٣هـ).

٣٦- أخبار الدول المتقطعة، مكتبة الدار - المدينة المنورة ١٩٨٨م.

٣٧- تاريخ الموصل، تحقيق: علي حبيبة، طبع لجنة إحياء التراث الإسلامي - القاهرة ١٩٦٧م.

* العبادي: أحمد مختار (دكتور).

٣٨- في التاريخ العباسي والفاطمي، دار النهضة العربية - بيروت ١٩٧١م.

* ابن عبد الحق: صفي الدين عبد المؤمن (ت٧٣٩هـ).

٣٩- مراصد الاطلاع على أسماء الأمكنة والبقاع، دار إحياء الكتب العربية - مصر ١٩٥٤م.

* ابن عبد ربه: أحمد بن محمد (ت٣٢٨هـ).

٤٠- العقد الفريد، تحقيق: محمد سعيد العريان، دار الفكر - مصر (د. ت).

* عبد الملك بن حسين بن عبد الملك (ت١١١١هـ).

٤١- سمط النجوم العوالي في أبناء الأوائل والتوالي، المطبعة السلفية - مصر (د. ت.).

* ابن العبري: غريغوريوس المطلي (ت٦٨٥هـ).

٤٢- تاريخ مختصر الدول، دار المسيرة - بيروت (د. ت.).

* ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسين بن هبة الله الدمشقي (ت ٥٧١هـ).

٤٣- تهذيب تاريخ دمشق، الجزء الخامس، تحقيق: عبد القادر بدران، دار المسيرة - بيروت (د. ت.).

* العش: يوسف (دكتور).

٤٤- تاريخ عصر الخلافة العباسية، ط (١)، دار الفكر - دمشق ١٩٨٢م.

* ابن العماد الحنبلي: أبو الفلاح عبد الحي (١٠٨٩هـ).

٤٥- شذرات الذهب في أخبار من ذهب، ط (٢)، دار المسيرة – بيروت ١٩٧٩م.

* ابن العمراني محمد بن علي بن محمد (ت٥٨٠هـ).

٤٦- الأنباء في تاريخ الخلفاء، تحقيق: د. قاسم السامرائي، دار العلوم – الرياض ١٩٨٢م.

* العمرو: علي عبد الرحمن (دكتور).

٤٧- أثر الفرس السياسي في العصر العباسي الأول، ط (١)، مطبعة الدجوي – مصر ١٩٧٩م.

* فاروق عمر (دكتور).

٤٨- بحوث في التاريخ العباسي، دار العلم – بيروت ١٩٧٧م.

* الفاسي: تقي الدين محمد بن أحمد (ت ٨٣٢هـ).

٤٩- العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد جاد الفقي وآخرين، ط (٢)، مؤسسة الرسالة – بيروت ١٩٨٦م.

* أبو الفدا: عماد الدين إسماعيل (ت ٧٤٨هـ).

٥٠- المختصر في أخبار البشر، دار المعرفة – بيروت (د. ت.).

* ابن قتيبة: أبو أحمد عبد الله بن مسلم الدينوري (ت ٢٧٦هـ).

٥١- الإمامة والسياسة، تحقيق: طه محمد الزيني، مؤسسة الحلبي وشركاه – القاهرة.

٥٢- المعارف، تحقيق: د. ثروت عكاشة، ط (٢)، دار المعارف – القاهرة ١٩٦٩م.

* القرماني: أحمد بن يوسف (ت ١٠٠٩هـ).

٥٣- أخبار الدول وآثار الأول في التاريخ، ط (١)، عالم الكتب - بيروت ١٩٩٢م.

* القلقشندي: أبو العباس أحمد بن علي (ت ٨٢١هـ).

٥٤- صبح الأعشى في صناعة الإنشا، نشر وزارة الثقافة والإرشاد - مصر (د. ت.).

٥٥- مآثر الإناقة في معالم الخلافة، تحقيق: عبد الستار فراج، عالم الكتب - بيروت (د. ت.).

* ابن كثير: إسماعيل بن عمر القرشي الدمشقي (ت ٧٧٤هـ).

٥٦- البداية والنهاية، تحقيق: أحمد عبد الوهاب فتيح، ط (٥)، دار الحديث - القاهرة.

* كي لسترنج.

٥٧- بلدان الخلافة الشرقية، ترجمة: بشير فرنسيس وغيره، ط (٢)، مؤسسة الرسالة - بيروت.

* اللميلم: عبد العزيز (دكتور).

٥٨- العلاقات بين العباسيين والعلويين، ط (١)، مؤسسة الرسالة - بيروت ١٩٨٨م.

* ماجد: عبد المنعم (دكتور).

٥٩- العصر العباسي الأول، مكتبة الأنجلو المصرية ١٩٧٣م.

* مجهول: مؤلف مجهول.

٦٠- العيون والحدائق في أخبار الحدائق، مكتبة المثني - بغداد (د. ت.).

* الشيخ محمد أبو زهرة.

٦١- تاريخ المذاهب الإسلامية، الجزء الأول، دار الفكر العربي ١٩٧١م.

* محمد أحمد حسب الله (دكتور).

٦٢- بحوث في تاريخ العصر العباسي الأول، ط (١)، مطبعة الفجر الجديد ١٩٨٨م.

* محمد الشريف (دكتور).

٦٣- الصراع بين العرب والموالي، دار الكتاب العربي ١٩٥٤م.

* محمود شاكر (دكتور).

٦٤- التاريخ الإسلامي، ط (٣)، المكتب الإسلامي – بيروت ١٩٨٧م.

* المسعودي: أبو الحسن علي بن الحسين (ت٣٤٦هـ).

٦٥- التنبيه والأشراف، صححه: عبد الله إسماعيل الصاوي، دار الصاوي للطبع والنشر – القاهرة ١٩٣٨م.

٦٦- مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق، محمد محيي الدين عبد الحميد، ط (٤)، المكتبة التجارية ١٩٦٤م.

* ابن مسكويه: أبو علي الخازن أحمد بن محمد بن يعقوب (٤٢١هـ).

٦٧- تجارب الأمم، الجزء السادس، مكتبة المتنبي – بغداد.

* المقدسي: مظهر بن طاهر (ت ٥٠٧هـ).

٦٨- البدء والتاريخ، مكتبة الثقافة – مصر (د. ت.).

* المقريزي: تقي الدين أحمد بن علي المقريزي (ت ٨٤٥هـ).

٦٩- السلوك لمعرفة دول الملوك ق١ مجلد١، تحقيق: مصطفى زيادة، دار الكتب المصرية – القاهرة ١٩٣٤م.

* ابن منظور: محمد بن مكرم (ت٧١١هـ).

٧٠- لسان العرب، تحقيق: عبد الله علي الكبير وآخرين، طبعة دار المعارف (د. ت.).

* ابن الوردي: زين الدين عمر (ت ٧٤٩هـ).

٧١- تتمة المختصر في أخبار البشر، ط (١)، دار المعرفة – بيروت ١٩٧٠م.

* ياقوت الحموي: أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الحموي (ت ٦٢٦هـ).

٧٢- معجم البلدان، دار صادر – بيروت (د. ت.).

* اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن واضح (ت ٢٩٢هـ).

٧٣- تاريخ اليعقوبي، دار صادر – بيروت ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

فهرس الموضوعات

الموضــــــــوع	الصفحة